

67-الملك-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ  
هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾  
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ يَنْصَبُ عَلَيْهِمْ أَلْفَ تَنْفِيرٍ ﴿٦﴾ إِذَا الْقَوَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾  
تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا  
وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾

67-تفسير سورة الملك-وهي مكية

\*أحمد مخرجا -8276 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:-  
إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَ هِيَ:-تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ "

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) تعظم و تعالى و كثر خيره و عم إحسانه من عظمته أن بيده ملك العالم العلوى  
و السفلى فهو الذي خلقه و يتصرف فيه بما شاء \_\_\_\_\_ :-

من مظاهر قدرة الله-1-5

1-الأحكام القدريّة

2-و الأحكام الدينية التابعة لحكمته

و من عظمته (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

كمال قدرته الذى يقدر بها على كل شىء وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة كالسماوات والأرض 1

(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ) فى الدنيا فَلَمَمَوْتَ أَمْرٌ وَجُودِيٌّ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ.  
وَ مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ أَوْجَدَ الْخَلَائِقَ مِنَ الْعَدَمِ لِيَبْلُوَهُمْ وَ يَخْتَبِرَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؟

كها قَالَ: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ} [البقرة: 28]

فَسَمَّى الْحَالَ الْأَوَّلَ -وَهُوَ الْعَدَمُ- مَوْتًا وَ سَمَّى هَذِهِ النَّشْأَةَ حَيَاةً. وَ لِهَذَا قَالَ:

{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة: 28]

(وَالْحَيَاةُ)

فى الآخرة أو هما فى الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة و هى ما به الاحساس و الموت ضدها أو عدمها

-و خلق الموت و الحياة أى:- قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم

(لَبَلُّوْكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أخلصه و أصوبه

فإن الله خلق عباده و أخرجهم لهذه الدار و أخبرهم أنهم سينقلون منها و أمرهم و نهاهم و ابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره فمن انقاد لأمر الله و أحسن العمل أحسن الله له الجزاء في الدارين و من مال مع شهوات النفس و نبذ أمر الله فله شر الجزاء.

**فائدة:-** وَ لَمْ يَقُلْ أَكْثَرُ عَمَلًا

(وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي له العزة كلها التي قهر بها جميع الأشياء و انقادت له المخلوقات.

(الْغَفُورُ) عن المسيئين و المقصرين و المذنبين خصوصًا إذا تابوا و أنابوا فإنه يغفر ذنوبهم و لو بلغت عنان

السماء و يستر عيوبهم و لو كانت ملء الدنيا 2

(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)

كل واحدة فوق الأخرى و لسن طبقة واحدة و خلقها في غاية الحسن و الإتقان

(مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ) خلل و نقص.

و إذا انتفى النقص من كل وجه صارت حسنة كاملة متناسبة من كل وجه في لونها و هيئتها و ارتفاعها و ما

فيها من الشمس و القمر و الكواكب النيرات الثوابت منهن و السيارات

و لما كان كمالها معلومًا أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها و التأمل في أرجائها قال:

(فَارْجِعِ الْبَصَرَ) أعده إليها ناظرًا معتبرًا (هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ) نقص و اختلال-شقوق

\*كقوله { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } [ق: 6] 3

(ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) أعد النظر مرة بعد مرة

(يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) ذليلاً-عاجزًا عن أن يرى خللاً أو فطورًا و لو حرص غاية الحرص.

(وَهُوَ حَسِيرٌ) كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرار و لا يرى نقصا 4

ثم صرح بذكر حسننها فقال:-

(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) و لقد جملنا التي ترونها و تليكم

(بِمَصَابِيحَ) النجوم على اختلافها في النور و الضياء فإنه لولا ما فيها من النجوم لكانت سقفاً مظلمًا لا حسن

فيه و لا جمال. و لكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء و جمالاً و نوراً و هداية يهتدى بها في ظلمات

البر و البحر و لا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات

السبع فإن السماوات شغافة و بذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا و إن لم تكن الكواكب فيها

(وَجَعَلْنَاهَا) المصاييح

عَلَى جَنْسِ الْمَصَابِيحِ لَا عَلَى عَيْنِهَا لِأَنَّهُ لَا يَرْمَى بِالْكَوَاكِبِ الَّتِي فِي السَّمَاءِ بَلْ بِشُهُبٍ مِنْ دُونِهَا  
وَ قَدْ تَكُونُ مُسْتَمَدَّةً مِنْهَا

(رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) الذين يريدون استراق خبر السماء فجعل الله هذه النجوم

حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض فهذه الشهب التي ترمى من النجوم أعدها الله في الدنيا  
للشياطين

إِنَّمَا خُلِقَتْ هَذِهِ النُّجُومُ لِثَلَاثِ خِصَالٍ:

1- خَلَقَهَا اللَّهُ زِينَةً لِلْسَّمَاءِ

2- وَ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ

3- وَ عِلَامَاتٍ يَهْتَدَى بِهَا

-الشهب هي أجرام سماوية تخترق الغلاف الغازي للأرض متأثرة بالجاذبية الأرضية وتتراوح سرعتها ما بين 12 - 72  
كم في الثانية

-ويؤدي احتكاكها بالغلاف الجوي للأرض إلى ارتفاع حرارتها وتلاشيها في الجو بعد أن تظهر بشكل خطوط ضوئية  
وتكثر رؤيتها عند الفجر ويمكن رؤيتها بالعين المجردة ويمكن أيضاً تصويرها  
-وتتركب الشهب من حديد وسيليكات وذرات الكربون وغبار كوني وغازات متجمدة وبخار ماء وهي كما ترى من  
جبل الأرض نفسها

-و يزداد ظهور الشهب لدى تقاطع مدار الأرض مع المذنبات و بخاصة في شهر آب و تشرينين ومطلع كل عام  
-و قد بلغ عددها 200 شهاب تقريباً في الدقيقة في عام 1799 م و 1833  
-و شوهد حوالي مائة ألف شهاب في ساعة واحدة سنة 1946 م و 1966 معدل زيادتها كما ترى ثلاث مرات في كل  
قرن من الزمان و أحياناً أكثر من ذلك لأن الشهب عبارة عن زخات دورية تحدث بفواصل زمنية أقصاها 33,5 سنة  
ملايين الشهب تحدث في الغلاف الجوي كل يوم .

\*سورة الجن:- «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْحِجْرِ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا 6 وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ  
اللَّهُ أَحَدًا 7 وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا 8 وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ  
لَهُ شُهَابًا رَصَدًا 9 وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا

\*سورة الصافات:- «إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ 6 وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ 7 لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى  
وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ 8 دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ 9 إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ 10)

\*سورة الحجر:- «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ 16 وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ 17 إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ  
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ

(وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ) في الآخرة (عَذَابَ السَّعِيرِ)

لأنهم تمردوا على الله وأضلوا عباده ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم قد أعد الله لهم عذاب السعير 5

عاقبة الكفار و اعترافهم بذنوبهم 6-12

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ)

(جَهَنَّمَ) مضاف اليه منصوب بالفتحة لانه ممنوع من الصرف

(وَيْسَ الْمَصِيرُ) الذي يهان أهله غاية الهوان 6

(إِذَا الْقَوَا فِيهَا) على وجه الإهانة و الذل

(سَمِعُوا لَهَا شَيْعًا) صوتًا عاليًا فظيعًا-مزعجا كصوت الحمار

(وَهِيَ تَفُورُ) تغلي غليانًا شديدًا 7

(تَكَادُ تَمَيَّزُ) تكاد على اجتماعها أن يفارق بعضها بعضًا و تنقطع

(مِنَ الْغَيْظِ) من شدة غيظها على الكفار فما ظنك ما تفعل بهم إذا حصلوا فيها؟

ثم ذكر توبيخ الخزنة لأهلها فقال: (كَلَّمَآ أَلْفَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)

حالكهم هذا و استحقاقكم النار كأنكم لم تخبروا عنها و لم تحذركم النذر منها»

قوله {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: 15]

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتِ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} قيل ادخلوا أبواب

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: 71 72] 8

(قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا) فجمعوا بين تكذيبهم الخاص

(وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) و التكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يكفهم ذلك

(إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين و هم الهداة المهتدون ولم يكتفوا بمجرد

الضلال بل جعلوا ضلالهم ضلالا كبيرا فأى عناد و تكبر و ظلم يشبه هذا؟ 9

(وَقَالُوا) معترفين بعدم أهليتهم للهدى و الرشاد:

(لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ)

لَوْ كَانَتْ لَنَا عُقُولٌ نَنْتَفِعُ بِهَا أَوْ نَسْمَعُ مَا أُنْزِلَهُ اللَّهُ مِنَ الْحَقِّ لَمَا كُنَّا عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَ الْاِغْتِرَارِ بِهِ وَ لَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَهْمٌ نَعْيَ بِهِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَ لَا كَانَ لَنَا عَقْلٌ يَرْشِدُنَا إِلَى اتِّبَاعِهِمْ

(مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

فنفوا عن أنفسهم طرق الهدى:-

1-و هى السمع لما أنزل الله و جاءت به الرسل

2-و العقل الذي ينفع صاحبه و يوقفه على حقائق الأشياء و إيثار الخير و الانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة

فلا سمع لهم و لا عقل و هذا بخلاف أهل اليقين و العرفان و أرباب الصدق و الإيمان

فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية

فسمعوا ما جاء من عند الله و جاء به رسول الله علماً و معرفة و عملاً.

و الأدلة العقلية:

المعرفة للهدى من الضلال و الحسن من القبيح و الخير من الشر

و هم - فى الإيمان- بحسب ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول و المنقول

فسبحان من يختص بفضله من يشاء و يمن على من يشاء من عباده و يخذل من لا يصلح للخير **10**

قال تعالى عن هؤلاء الداخلين للنار المعترفين بظلمهم و عنادهم:

(فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا) بعداً لهم و خسارة و شقاء (لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ)

فما أشقاهم و أرداهم حيث فاتهم ثواب الله و كانوا ملازمين للسعير الذى تستعر فى أبدانهم و تطلع على

أفئدتهم! **11**

لما ذكر حالة الأشقياء الفجار ذكر حالة السعداء الأبرار فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ)

فى جميع أحوالهم حتى فى الحالة التى لا يطلع عليهم فيها إلا الله فلا يقدمون على معاصيه و لا يقصرون

فيما أمر به

(لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لذنوبهم وإذا غفر الله ذنوبهم وقاهم شرها و وقاهم عذاب الجحيم

(وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) و هو ما أعده لهم فى الجنة من النعيم المقيم و الملك الكبير و اللذات المتواصلات

و المشتريات و القصور و المنازل العاليات و الحور الحسان و الخدم و الولدان.

و أعظم من ذلك و أكبر رضا الرحمن الذى يحله الله على أهل الجنان **12**

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسَوْفَ نَأْتِيهِمْ فَنَسُحَقَ لِلْأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ  
 إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا  
 فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ  
 فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾  
 وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائٍ وَيَقْبِضُنَّ  
 مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْزَمْنَاهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ  
 إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ لَجُورًا فِي عِتْوٍ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾  
 أَمْ مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ  
 وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾  
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

هذا إخبار من الله بسعة علمه و شمول لطفه فقال:

علم الله ونعمه 13-15

(وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ) كلها سواء لديه لا يخفى عليه منها خافية

فـ(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من النيات و الإرادات فكيف بالأقوال و الأفعال التي تسمع و ترى؟! 13

ثم قال-مستدلا بدليل عقلي على علمه:- (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ)

فمن خلق الخلق و أتقنه و أحسنه كيف لا يعلمه؟!

(وَهُوَ اللَّطِيفُ)

الذي يلطف بعبده و وليه فيسوق إليه البر و الإحسان من حيث لا يشعر

-و يعصمه من الشر من حيث لا يحتسب و يرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تكون من العبد على بال

-حتى إنه يذيقه المكاره ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة و المقامات النبيلة.

(الْخَبِيرُ)الذي لطف علمه و خبره حتى أدرك السرائر و الضمائر و الخبايا و الخفايا و الغيوب 14

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا)

\*الترمذى -2344 عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:



«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْنَكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَ تَرُوحُ بِطَانًا»  
 \*\*\*فَأَثَبَتْ لَهَا رَوَاحًا وَ غَدُوًّا لَطَلَبَ الرِّزْقِ مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ هُوَ الْمَسْخَرُ الْمُسَيَّرُ الْمُسَبَّبُ  
 أى: هو الذي سخر لكم الأرض و ذللها لتدركوا منها كل ما تعلق به حاجتكم  
 من غرس و بناء و حرث و طرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية و البلدان الشاسعة

(فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) نواحيها و جوانبها-فجاجها

(وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) لطلب الرزق و المكاسب.

(وَالْيَهُ النُّشُورُ) بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحانًا و بلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة تبعثون

بعد موتكم و تحشرون إلى الله ليجازيكم بأعمالكم الحسنة و السيئة 15

ثم هددهم و وعدهم لمن استمر في طغيانه و تعديه و عصيانه الموجب للنكال و حلول العقوبة فقال:

تهديد الكفار و توبيخ المشركين 22-16

(أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ) و هو الله تعالى العالي على خلقه.

(أَنْ يَخْفِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ) أى يجعلها بحيث تغورون فيها و تصبحون في جوفها

(فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) بكم و تضطرب حتى تتلفكم و تهلككم 16

(أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) ريحا فيها حصاء تدمغكم

(فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ) كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل و الكتب

فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض و من السماء ينفعكم فستجدون عاقبة أمركم

سواء طال عليكم الزمان أو قصر 17

(وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فإن من قبلكم كذبوا كما كذبت فاهلكهم الله تعالى

(فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)

فانظروا كيف إنكار الله عليهم عاجلهم بالعقوبة الدنيوية قبل عقوبة الآخرة فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم 18

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٌ وَيَقْبِضُنَّ

و هذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله و سخر لها الجو والهواء تصف فيه أجنحتها

للطيران و تقبضها للوقوع فتظل سابحة في الجو مترددة فيه بحسب إرادتها و حاجتها.

كقوله {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل: 79]

(مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ)

فإنه الذي سخر لهن الجو و جعل أجسادهن و خلقتهن في حالة مستعدة للطيران فمن نظر في حالة الطير و اعتبر فيها دلته على قدرة الباري و عنايته الربانية و أنه الواحد الأحد الذي لا تنبغي العبادة إلا له

(إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) فهو المدبر لعباده بما يليق بهم و تقتضيه حكمته 19

يقول تعالى للعتاة النافرين عن أمره المعرضين عن الحق: (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ

أى: ينصركم إذا أراد بكم الرحمن سوءًا فيدفعه عنكم؟

أى: من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن؟

فإنه تعالى هو الناصر المعز المذل و غيره من الخلق لو اجتمعوا على نصر عبد لم ينفعوه مثقال ذرة على أى عدو كان فاستمرار الكافرين على كفرهم بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن غرور و سفه

(إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم 20

(أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ) الرزق كله من الله فلو أمسك عنكم رزقه فمن الذي يرسله لكم؟

فإن الخلق لا يقدرّون على رزق أنفسهم فكيف بغيرهم؟

فالرزاق المنعم الذي لا يصيب العباد نعمة إلا منه هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة و لكن الكافرون

(بَلْ لَّجُّوا) استمروا (فِي عُتُوٍّ) قسوة و عدم لين للحق

(وَنُفُورٍ) شرود عن الحق 21

(أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا) منكسًا- مُنْحِنِيًّا لَا مُسْتَوِيًّا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَدْرِى أَيْنَ يَسْلُكُ وَلَا كَيْفَ يَذْهَبُ؟ تَائِهًا حَائِرًا ضَالًّا

(عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى) أى الرجلين أهدى؟

من كان تائها في الضلال غارقًا في الكفر قد انتكس قلبه فصار الحق عنده باطلا و الباطل حقًا؟

(أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا) مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ - و من كان عالمًا بالحق مؤثرًا له عاملا به

(عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يمشى على الصراط المستقيم في أقواله و أعماله و جميع أحواله؟

عَلَى طَرِيقٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ وَ هُوَ فِي نَفْسِهِ مُسْتَقِيمٌ وَ طَرِيقُهُ مُسْتَقِيمَةٌ.

\*فبمجرد النظر إلى حال هذين الرجلين يُعلم الفرق بينهما و المهتدي من الضال منهما و الأحوال أكبر شاهد من الأقوال.

هَذَا مَثَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ يَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ:-

فَالْمُؤْمِنُ يُحْشَرُ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مُفَضَّ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ-

وَ أَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ

\*أحمد 8755 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يُحْشَرُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:

1- صِنْفًا مُشَاةً



2- وَ صِنْفًا رُكْبَانًا

3- وَ صِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ كَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟

فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ  
أَمَّا إِنَّهُ يَتَّقُونَ بِكُلِّ حَدَبٍ وَ شَوْكٍ قَالَ عَقَانُ: " يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَ شَوْكٍ

{ اخشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون 22 من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم 23 وقفوههم

إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ 25 بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ } [الصفات: 22 - 26] 22

يقول تعالى - مبيِّنًا أنه المعبود وحده و داعيًا عباده إلى شكره و إفراذه بالعبادة - :

(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ) أوجدكم من العدم من غير معاون له و لا مظاهر و لما أنشأكم

(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ) كمل لكم الوجود بالسمع و الأبصار و الأفئدة التي هي أنفع أعضاء

البدن و أكمل القوى الجسمانية و لكنه مع هذا الإنعام

قدرة الله في الخلق و الحشر 23-27

(فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ) الله قليل منكم الشاكر و قليل منكم الشكر 23

(قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) بَشَّكُمْ وَ نَشَرَكُمْ (فِي) أَقْطَارِ

(الْأَرْضِ) وَ أَرْجَائِهَا مَعَ اخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ فِي لُغَاتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ وَ حُلَاكُمُ وَ أَشْكَالِكُمْ وَ صُورِكُمْ وَ أَمْرِكُمْ

و نهاكم و أسدى عليكم من النعم ما به تنتفعون

(وَالْيَا أَيُّهَا تَحْشَرُونَ) ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة و لكن هذا الوعد بالجزاء ينكره هؤلاء المعاندون

(وَيَقُولُونَ) تكذيبًا

(مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ) جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه و هذا ظلم و عناد 25

(قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ)

فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق و لا ملازمة بين صدق هذا الخبر وبين الإخبار بوقته فإن الصدق

يعرف بأدلتة و قد أقام الله من الأدلة و البراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك 26

### الاعجاز في (صَافَاتٍ وَيَقْبِضُنَ)

إن الاعجاز في خلق الطيور لا يتوقف عند حدود الصفات الشكلية والتشريحية التي وهبها إياها الله  
ولكنه يتعدي ذلك علي إحكام صنعه إلي القدرات الفائقة التي أعطاها الخالق العظيم لهذه المخلوقات الضعيفة  
فمكنتها من اتقان المناورة في جو السماء بذكاء ودقة بالغين

و ذلك لأن هناك فرقاً بين سرعة الجسم المتحرك في الهواء (AirSpeed)

و سرعته إذا تحرك علي سطح الأرض (Groundspeed).

فالسُرعة في الهواء تعري سرعة هذا الجسم الغازي مروراً فوق الجسم المتحرك

أما سرعته على الأرض فتعني سرعة الجسم المتحرك نفسه في اختراقه للغلاف الغازي المحيط بالأرض و الذي تصل سرعته الي الصفر فوق سطح الأرض أيا كانت سرعته في مستوياته الأعلى لذلك يتم طيران الطيور بمناورات بالغة الذكاء والدقة .

ويتم طيران الطيور بعمليتين أساسيتين هما الصف أو التحليق (Gliding or Soaring)

و القبض أو الخفق أو الرفرفة أو ضم الجناحين وبسطهما أو مايعرف أحيانا باسم التصفيق بالجناحين Flapping و الصف أو التحليق هو بسط الجناحين إلي أقصى امتداداتهما دون تحريكهما علي هيئة سطح انسياب هوائي (Airfoil) حاكاه الانسان في صنع جناحي الطائرة .

و باندفاع الطائر وسط كتلة الهواء يندفع الهواء إلي أسفل الجناحين مما يزيد الضغط عليهما فيساعد ذلك الطائر علي الارتفاع الي أعلى و علي التقدم بالانزلاق الي الأمام و يتحقق دفع الطائر الي الأمام بتحكمه في زاوية ميل كل جناح من الجناحين و في درجة انحناء كل منهما و بذلك يتحرك الهواء بسرعة فوق الجناحين و أمامهما تزيد علي سرعته أسفل منهما وخلفهما مما يقلل الضغط فوق الجناحين و أمام الطائر باستمرار فيساعده علي الاندفاع في الطيران إلي الأمام و إلي أعلى كلما أراد ذلك

و من الذكاء الفطري الذي وهبه الله ( تعالي ) للطيور مايمكنها من ركوب متن التيارات الهوائية أو الرياح في عملية تسمى عملية التزلج الديناميكي (Dynamic soaring).

وتعرف الرياح بأنها الهواء المتحرك حركة مستقلة عن ارتباطه بجاذبية الأرض

و يلعب الدور الرئيسي في ذلك اختلاف معدلات الضغط الجوي باختلاف درجات الحرارة من منطقة إلي أخرى وباختلاف كم الطاقة الشمسية عبر خطوط العرض المختلفة و دوران الأرض حول محورها بالاضافة الي تباين التضاريس الأرضية . و تقسم الرياح بالنسبة لارتفاعها إلي رياح سطحية ومتوسطة ومرتفعة . وبالنسبة لشدتها من صفر للرياح الساكنة الي 12 درجة أعلاها ( الأعاصير ) .

و نتيجة لذلك تكونت دورة عامة للرياح شديدة الانتظام حول الأرض و ذات عدة دوائر كبيرة بين خط الاستواء وكل واحد من قطبي الأرض مع وجود عدد من الجبهات الهوائية بين تلك الدوائر و يزيد من تعقيد هذه الصورة التباين بين اليابسة والماء و في تضاريس اليابسة و الاختلافات الفصلية و ما ينشأ عن ذلك من حركات أفقية ورأسية للرياح تستغلها الطيور في حركتها في الهواء بذكاء بارع

فاذا كانت الرياح أفقية فإن الطيور تصف في خطوط مستقيمة موازية تماما لاتجاه هبوب الرياح وإذا كانت الرياح رأسية استغلتها الطيور الصافة في الارتفاع الي أعلي في أشكال حلزونية موازية تماما لحركة دوامات الرياح الي أعلي .والطيران بواسطة الصف أي الانزلاق المستمر (Constant Gliding) شائع في الطيور الكبيرة خاصة اذا أرادت التحرك لمسافات بعيدة .

أما القبض أوالخفق أو الرفرفة (Flapping) فهي طريقة الطيران المثلي لمسافات قصيرة و تنتشر بالأخص بين الطيور الصغيرة الحجم و هذه الطريقة تستدعي حركتين سريعتين هما الضرب بالجناحين إلي أسفل ثم إلي أعلي و الحركة الأولى تدفع بالطائر الي الأمام و الثانية تدفع به إلي أعلى خاصة إذا كانت مقدمة الجناح مائلة إلي الأمام ولو قليلا مما يدفع بالهواء إلي الخلف ويدفع بالطائر الي الأمام بينما يبقي معظم الجناح عموديا علي الجسم فيساعد في ارتفاع الطائر إلي أعلي وبذلك يتحقق للطائر كل من الدفع إلي الأمام والرفع الي أعلي ويتحكم في ذلك الطائر بتحكمه في حركة أجنحته وعادة ماتضم الطيور اجنحتها في أثناء الضرب إلي أعلي كي لاتدفع بكميات كبيرة من الهواء في هذا الاتجاه وإذا وصل الطائر إلي السرعة المناسبة له قبض جناحيه إلي جنبه ويظل محمولا بقوة الاندفاع المكتسبة من قبل وبتغيير درجة ميل أي من الجناحين يستطيع الطائر تغيير اتجاهه في الهواء حيث يشاء و مهما كانت سرعة الرياح من حوله و يعينه في ذلك ذنبه الذي يلعب دورا مهما في تلك المناورات.

و يستطيع الطائر أن يحقق رفع جسمه إلي أعلي بسرعة الضرب بجناحيه إلي أعلي و أسفل مستخدما في ذلك عضلات صدره القوية و قد تصل حركة الجناحين إلي سبعين خفقة في الثانية

وتصل سرعة الطائر الي حوالي المائة كيلو متر في الساعة كما هو الحال في الطائر المعروف باسم الطنان الذي يضرب

بجناحيه الي الأمام والخلف في عملية شبيهة تماما بعملية التجديف في الماء فيرسم بحركة جناحيه في الهواء الرقم (8) في وضع أفقي بالنسبة إلي جسم الطائر مما يمكنه من تحريك جسمه مع كل ضربة إلي أعلي أو إلي أسفل. ومن الابداع الإلهي في خلق الطيور ارتباط جناحي الطائر بجسمه بواسطة نظام دقيق من المفصل يسمح للطائر بتغيير زاوية ميل كل جناح علي حدة بالنسبة لجسمه ففي الضرب بالجناحين إلي أسفل يكونان مفرودين إلي أقصى امتداداتهما باستقامة كاملة عموديا علي الجسم مما يمكنهما باندفاعهما إلي الأمام من دفع أكبر كمية ممكنة من الهواء إلي أسفل فيرتفع ذلك بالطائر إلي أعلي وإلي الأمام ولكن في رفع الجناحين إلي أعلي يضمهما الطائر بإلهام من الله الخالق كي لا يدفع إلي أعلي إلا قدرا ضئيلا من الهواء تماما كما يفعل الذي يقوم بالتجديف في الماء بين ضربته الخلفية الشديدة التي تدفعه إلي الأمام و ضربته الأمامية الخفيفة التي تهيئ للضربة الخلفية التالية. ومن الفطرة التي فطر الله (تعالى) الطيور عليها البدء بالطيران المنخفض البطئ ثم زيادة كل من السرعة والارتفاع بالتدريج حتي تصل الي أقصى معدلات ذلك

والطيور عادة ماتتحرك في الهواء بسرعات تتراوح بين (30) و (50) كيلو مترا في الساعة وقد يتزايد ذلك إلي (75) كيلو مترا في الساعة

ولكنها إذا طوردت فإن بإمكانها زيادة سرعتها الي أكثر من 100 كيلو متر في الساعة ولكن بعض الجوارح من الطيور مثل الصقور لها سرعات أعلي بكثير إذ تتراوح سرعات طيرانها بين (160) و (320) كيلو مترا في الساعة.

ويمكن للطائر ان يستمر في الطيران لمدة تتراوح بين (5) و (6) ساعات متصلة بسرعات تتراوح بين (25) و (30) كيلو مترا في الساعة.

ومعظم الطيور لاتكاد تتعدي في طيرانها ارتفاع (150) مترا فوق مستوي سطح البحر ولكنها في هجراتها الطويلة ترتفع الي منسوب (3000) مترا في المتوسط فوق مستوي سطح البحر (بمدي يتراوح بين (1500) متر و (6000) متر)

وذلك للاستفادة بالتناقص الشديد في كل من الضغط والحرارة عند تلك الارتفاعات ولتجنب الجفاف بالبعد عن الهواء الحار الملامس لسطح الأرض والقريب منه في أثناء بذل هذا المجهود المضني في رحلات الهجرة الطويلة وأعلي ارتفاع شوهدت عليه هجرة الطيور وصل الي نحو التسعة كيلو مترات حين شوهدت من إحدى الطائرات وذلك لأن الله قد وهب الطيور قدرات خاصة لاستخلاص أقل قدر ممكن من أكسجين الهواء الذي تتناقص نسبته بالارتفاع وهو مالا يستطيعه الانسان وما لا تستطيعه جميع الحيوانات الثديية ومنها الخفافيش.

(مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)

من كل ماسبق يتضح بجلاء لكل ذي بصيرة أن الذي فطر الطير علي صفات شكلية وتشريحية محددة أعطته القدرة علي الطيران هو الله الخالق والذي زوده بقدر من الذكاء وحسن الادراك ليتمكن من حسن القيام بالمناورات المعقدة وهو في مهب الريح بصف جناحيه في الوقت المناسب وخفقهما أو قبضهما في الوقت المناسب وإمالة جناحيه أحدهما أو كليهما بالزوايا المناسبة فوهبه بذلك القدرة علي التحكم في الاتجاه والارتفاع والسرعة المناسبة في كل حالة وعلي الاقلاع والهبوط حيث أراد وعلي الانقضاض علي الأرض والارتفاع عنها في لمح البصر والذي وهب الطير كل ذلك هو الله الخالق وهذا الإله الخالق يمهك بالطير في جو السماء بالنواميس التي وضعها باحكام وقدرة بالغين . في كل من الغلاف الغازي للأرض وجسم الطير وفي تصريف الرياح والتوزيع الدقيق لتضاريس الأرض وتوزيع درجات الحرارة علي سطحها فجاء كل أمر منها في تناسق فريد وتناغم معجز يشهد لله ( تعالي ) بطلاقة القدرة وعظيم الصنعة وإبداع الخلق !! ولم يكن لأحد من الخلق إدراك لتفاصيل حركات الطير في جو السماء إلا في القرنين الماضيين تلك الحركات المعقدة والدقيقة التي لم يستطع الانسان محاكاة شيء منها إلا في القرن العشرين و في العقود المتأخرة منه علي وجه التحديد و بعد مجاهدات طويلة وعسيرة استغرقت جل أعمار الآلاف من العلماء لعشرات بل لمئات من السنين حتي أصبحت حركات الطير في جو السماء علما يدرس في أغلب جامعات

العالم تحت مسمى هندسة الطيران (ويشمل علوم التحرك في الهواء ديناميكية الهواء بناء الطائرات والنفاثات والصواريخ والملاحة في الهواء) والمعلم الأول في هذا العلم هو الطير

### ﴿ شَوْقُهُمْ تَدْبُرُ الْقُرْآنَ إِلَى عِلْمِ النُّحُو وَالْبَلَاغَةِ! ﴾

كُلِّفْتُ بتدريس مادة النحو لبعض طلاب كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ووجدت في بداية التعليم نفورًا غريبًا من علم النحو، بل لاحظت ريبة وشكًا في نفوس الطلاب تجاه مُعلمهم، فيسألون عن رأيي في القول بالمجاز، وإعراب بعض الحروف الزائدة في القرآن ونحو ذلك، وقد بلغ الأمرُ غايته حينما دخلتُ إحدى القاعاتِ فوجدتُ طالبًا قد كتبَ على السبورة بيتَ الشعرِ المشهورِ الذي لا يُعرفُ قائله:

وَلَسْتُ بِنَحْوِي يَلُوكُ لِسَانَهُ      وَلَكِنْ سَلِيقِي يَقُولُ فَيَعْرِبُ

فأدركت أنني -هكذا- أنفُخُ في قُرْبَةٍ مشقوقة، ففكرت تفكيرًا عميقًا، وأيقنتُ أنه لا سبيل إلى إقناع هؤلاء الطلاب بأهمية علم النحو إلا بربطه بالقرآن الكريم، فقلت لهم يومًا: لديَّ سؤال، من أجاب عليه فله جائزة: لماذا قال

الله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾<sup>(١)</sup> ﴿اسْطَعُوا﴾ و﴿اسْتَطَعُوا﴾؟ فلم يعرف أحد منهم الجواب، فأعطيتهم مُهلةً إلى المحاضرة التالية، ونقلت السؤال إلى القاعات الأخرى.

وفي المحاضرة التي بعدها سألتهم عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، لماذا عدَّى الفعل ﴿يَرَوْا﴾ بـ ﴿إِلَى﴾ ولم يقل: أو لم يروا الطير؟ ولماذا قال: ﴿صَفًى وَيَقْبِضْنَ﴾؟.

وهكذا؛ كنا في بداية كل محاضرة نجيب عن سؤال المحاضرة السابقة، وفي نهايتها أُلقي عليهم سؤالًا جديدًا!

وقد رأيت ثمرة هذا التدبر عليهم وعليّ، أما الطلاب فقد أدركوا حاجتهم إلى علم النحو، حتى إن بعضهم صار يأتي إلى بيتي ليُدرس عليّ علم النحو والصرف، وأما أثره عليّ فقد اجتهدتُ في التنقيب عما أشار إليه العلماء والمفسرون من صور الإعجاز البياني، فاجتمعت لديّ حصيلة طيبة منها قدمتها في برنامج إذاعي في إذاعة القرآن الكريم، ثم نشرتها في كتاب بعنوان: نظرات لغوية في القرآن الكريم/ صالح بن حسين العايد.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ  
 إِنِ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ  
 وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾  
 68-سورة القلم-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لِمَنْ يَسْطُرُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾  
 وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْهُ وَابْحُورْهُ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
 بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَذُؤَا لَوْ تَذْهَنُ فَيَذْهَبُونَ ﴿٩﴾  
 وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بَنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ﴿١٢﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾  
 أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

(فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) (قريباً)

\*لَمَّا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَ شَاهَدَهَا الْكَفَّارُ وَ رَأَوْا أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ قَرِيبًا لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ وَ إِنْ طَالَ زَمَنُهُ  
 فَلَمَّا وَقَعَ مَا كَذَّبُوا بِهِ سَاءَ هُمْ ذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ الشَّرِّ أَى:  
 فَأَحَاطَ بِهِمْ ذَلِكَ وَ جَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بَالٍ وَ لَا حِسَابٍ  
 {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا 4 وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}  
 [الرُّم: 47 48]

(سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)

ساءهم ذلك و أظفهم و قلقل أفئدتهم فتغيرت لذلك وجوههم و وبخوا على تكذيبهم

(وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ) (وَلِهَذَا يُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَ التَّوْبِيخِ)

(تَدْعُونَ) (تَسْتَعْجِلُونَ).

و قيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون فاليوم رأيتموه عياناً و انجلي لكم الأمر و تقطعت بكم الأسباب

و لم يبق إلا مباشرة العذاب 27

النجاة و الرزق بيد الله 28-36

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا) (فَسَوَاءٌ عَذَبَنَا اللَّهُ أَوْ رَحِمَنَا)

و لما كان المكذبون للرسول ﷺ الذين يردون دعوته ينتظرون هلاكه و يتربصون به ريب المنون أمره الله  
 أن يقول لهم:-



أنتم و إن حصلت لكم أمانيكم و أهلكري الله و من معي فليس ذلك بنافع لكم شيئاً لأنكم كفرتم بآيات الله و استحققتم العذاب

(فَمَنْ يُجِيرُ) يحميكم

(الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟

فإذا تعبكم و حرصكم على هلاكى غير مفيد و لا مجد عنكم شيئاً<sup>28</sup>

(قُلْ) لهم يا محمد

(هُوَ الرَّحْمَنُ)

و من قولهم إنهم على هدى و الرسول على ضلال أعادوا في ذلك و أبدوا و جادلوا عليه و قاتلوا:-  
فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله و حال أتباعه ما به يتبين لكل أحد هداهم و تقواهم و هو أن يقولوا:-

(ءَامَنَّا بِهِ) (

و الإيمان يشمل التصديق الباطن و الأعمال الباطنة و الظاهرة

(وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا)

و لما كانت الأعمال [وجودها و كمالها] متوقفة على التوكل :-

خص الله التوكل من بين سائر الأعمال و إلا فهو داخل في الإيمان و من جملة لوازمه كقوله

{وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: 23]

فإذا كانت هذه حال الرسول و حال من اتبعه و هي الحال التي تتعين للفلاح و تتوقف عليها السعادة و حالة أعدائه بضدها فلا إيمان لهم و لا توكل

(فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) مَنْ وَمَنْكُمْ و لِمَنْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ؟

علم بذلك من هو على هدى و من هو في ضلال مبين<sup>29</sup>

\*ثم أخبر عن انفراده بالنعم خصوصاً بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حى فقال:-

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا)

غائراً ذاهباً في الأرضِ إِلَى أَسْفَلٍ فَلَا يُنَالُ بِالْفُئُوسِ الْجِدَادِ وَ لَا السَّوَاعِدِ الشَّدَادِ

(فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) بماء جارٍ على وجه الأرض ظاهر للعيون؟

تشربون منه و تسقون أنعامكم و أشجاركم و زروعكم؟

و هذا استفهام بمعنى النفي أى: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى<sup>30</sup>



الاعجاز العلمي في الآية

\*إن قانون الجاذبية والذي يعني أن الأثقل ينزل للأسفل و الأخف يصعد للأعلى هذا القانون يحافظ على وجود الماء تحت سطح الأرض و ضمان تدفقه على شكل ينابيع.

-ولو أن كثافة الماء كانت أعلى مما هي عليه الآن لغار الماء في الأرض و لم يتمكن من التدفق من خلال الينابيع و الأنهار. و هنا يتجلى قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك: 30]. ولو أن كمية المياه المتساقطة على شكل أمطار كانت أقل مما هي عليه لغار الماء في الأرض. فكمية الأمطار الهائلة مناسبة تماماً لطبيعة القشرة الأرضية و سماكتها و نوعية صخورها و ترابها. و لو أن كثافة الماء كانت أقل مما هي عليه الآن لم يستطع الماء المكوث في الأرض و ذهب إلى السطح و تبخر.

و هنا أيضاً نقف عند قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون: 18].

68 - تفسير سورة ن- مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

تأييد الرسول و خلقه العظيم 7-1

(ت) هو الحوت

\*البخارى عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَ مَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَ مِنْ أَى شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَ مِنْ أَى شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَحْوَالِهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «خَبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جَبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ

(القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيبيها وألذّه).

وَ أَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ (جامعها) فَسَبَقَهَا مَأْوُهُ (منه) كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَأْوَهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا

قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ

ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتُ (جمع بهوت وهو كثير البهتان وهو أسوأ الكذب أي كذابون وممارون لا يرجعون إلى الحق)

إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهِتُونِي عِنْدَكَ

فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ»

قَالُوا أَعْلَمْنَا وَ ابْنُ أَعْلَمِنَا وَ أَخِيرْنَا وَ ابْنُ أَخِيرِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ»

قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا: شَرُّنَا وَ ابْنُ شَرِّنَا وَ وَقَعُوا فِيهِ (ذموه وطعنوا فيه)

**(وَالْقَلَمِ)** يقسم تعالى بالقلم وهو اسم جنس شامل للأقلام التي تكتب بها أنواع العلوم

1-الظاهر انه هو جنس القلم الذي يكتب به كقوله

{ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ 3 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ 4 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [العلق: 3 - 5]

2-المراد به القلم الذي اجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات و الارض

بخمسين الف عام

\*تفسير الطبري عن أبي عبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه: يَا بُرَيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "

**(وَمَا يَسْطُرُونَ)** و يسطر بها المنثور و المنظوم و ذلك أن القلم و ما يسطرون به من أنواع الكلام

من آيات الله العظيمة التي تستحق أن يقسم الله بها على براءة نبيه محمد ﷺ مما نسبته إليه أعداؤه من

الجنون 1

**(مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)**

نفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه و إحسانه حيث من عليه بالعقل الكامل و الرأي الجزل و الكلام الفصل

الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام و سطره الأنام و هذا هو السعادة في الدنيا 2

ثم ذكر سعادته في الآخرة فقال: **(وَلَاِنَّ لَكَ لَأَجْرًا)** عظيمًا كما يفيد التكرير

**(غَيْرَ مَمْنُونٍ)**

غير مقطوع بل هو دائم مستمر و ذلك لما أسلفه النبي ﷺ من الأعمال الصالحة و الأخلاق الكاملة 3

و لهذا قال: **(وَلَاِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** عاليًا به مستعليًا بخلقك الذي من الله عليك به

و حاصل خلقه العظيم ما فسرت به أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لمن سألها عنه فقالت:

« كان خلقه القرآن »

\*مسلم -746 عن سعد بن هشام رضي الله عنه قال: يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ:

«أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»

و ذلك نحو قوله تعالى له: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199]

**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ}** [آل عمران: 159] 5

و الآيات الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها و هو في كل خصلة منها في الذروة العليا:-

1-فكان ﷺ سهلا لنا قريبًا من الناس

2-مجيبًا لدعوة من دعاه

3-قاضيًا لحاجة من استقضاه

4-جابرًا لقلب من سألته لا يحرمه و لا يرده خائبًا

5-و إذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه و تابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور

6-و إن عزم على أمر لم يستبد به دونهم بل يشاورهم و يؤامرهم

7-و كان يقبل من محسنهم و يعفو عن مسيئهم

8-و لم يكن يعاشر جليسا له إلا أتم عشرة و أحسنها فكان

1-لا يعبس في وجهه

2-و لا يغلظ عليه في مقاله

3-و لا يطوى عنه بشره

4-و لا يمسك عليه فلتات لسانه

5-و لا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة

6-بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان و يحتمله غاية الاحتمال ﴿٤﴾

فلما أنزله الله في أعلى المنازل من جميع الوجوه و كان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال:

{سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ} [القمر: 26]

(فَسَبِّحْهُ) فعن قريب سترى أيها الرسول (وَيُبْصِرُونَ) و يرى الكافرون ﴿٥﴾

(بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ) أي بأيكم الجنون

و قد تبين أنه أهدى الناس و أكملهم لنفسه و لغيره و أن أعداءه أضل الناس و شر الناس للناس

و أنهم هم الذين فتنوا عباد الله و أضلوهم عن سبيله و كفى بعلم الله بذلك فإنه هو المحاسب المجازى 6

(وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

وهذا فيه تهديد للضالين و وعد للمهتدين وبيان لحكمة الله حيث كان يهدي من يصلح للهداية دون غيره 7

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: (فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ)

الذين كذبوك و عاندوا الحق فإنهم ليسوا أهلا لأن يطاعوا لأنهم لا يأْمرون إلا بما يوافق أهواءهم

و هم لا يريدون إلا الباطل

فالمطيع لهم مقدم على ما يضره و هذا عام في كل مكذب و في كل طاعة ناشئة عن التكذيب

و إن كان السياق في شيء خاص:-

و هو أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يسكت عن عيب آلهتهم و دينهم و يسكتوا عنه 8

و لهذا قال: (وَدُّوا) أى المشركون

(لَوْنَدِهِنُ) تلاينهم و تصانعهم-توافقهم على بعض ما هم عليه إمّا:-  
بالقول أو الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه

صفات المكذبين 16-8

(فَيَذْهَبُونَ) فيلينون لك

\* و لكن اصدع بأمر الله و أظهر دين الإسلام فإن تمام إظهاره بنقض ما يضاده و عيب ما يناقضه 9

(وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاَفٍ) كثير الحلف فإنه لا يكون كذلك إلا و هو كذاب و لا يكون كذاباً إلا

و هو (مَهِينٌ) خسيس النفس ناقص الهمة ليس له همة في الخير بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة 10

(هَمَّازٍ) كثير العيب للناس و الطعن فيهم بالغيبة و الاستهزاء وغير ذلك.

(مَشَّاءٌ بَنَمِيمٍ) يمشى بين الناس بالنميمة و هى:-

نقل كلام بعض الناس لبعض لقصد الإفساد بينهم و إلقاء العداوة و البغضاء.

\* البخارى -218 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ:

«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ  
أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ  
وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»

\* البخارى -6056 عَنْ هَمَّامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ:

إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ

(النمام وقيل هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ذلك ثم ينقل ما سمعه منهم) 11

(مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ) الذى يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات والزكوات وغير ذلك

(مُعْتَدٍ) على الخلق في ظلمهم في الدماء و الأموال و الأعراض

(أَثِيمٍ) كثير الإثم و الذنوب المتعلقة في حق الله تعالى 12

(عُتْلٍ)

غليظ شر الخلق-قاس-غير منقاد للحق-غليظ جاف شديد الفتك-و قيل الأكل الشروب القوى الشديد

(بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ)

دعى ليس له أصل و لا مادة ينتج منها الخير بل أخلاقه أقبح الأخلاق و لا يرجى منه فلاح

له زمة أى: علامة في الشر يعرف بها

\*البخارى -4917 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا {عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِيرٌ} [القلم: 13] قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُ زَمَةٌ مِثْلُ زَمَةِ الشَّاةِ (هـ ي ما يقطع من أذنها ويترك معلقاً)»

\*البخاري -4918 حَارِثَةُ بْنُ وَهَبٍ الْخَزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ (يستضعفه الناس ويحتقرونه) لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ (حلف يمينا طمعا في كرم الله) لِأَبْرَهُ (لحقق له ما أقسم عليه ولأجاب طلبه ودعاهه) أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ

\*أحمد -5680 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: عِنْدَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ كُلِّ جَعْظَرِيٍّ (الفظ الغليظ) جَوَاطٍ (شديد الصوت في الشر متكبر مختال في مشيته) مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ (الجموع المنوع)

و حاصل هذا أن الله تعالى نهى عن طاعة كل:-

حلاف كذاب خسيس النفس سيئ الأخلاق خصوصاً الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس  
و التكبر على الحق و على الخلق و الاحتقار للناس كالغيبة و النميمة و الطعن فيهم و كثرة المعاصى **13**  
و هذه الآيات-و إن كانت نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه:-

(أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) لأجل كثرة ماله و ولده **14**

(إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا) طغى و استكبر عن الحق و دفعه حين جاءه

(قَالَ) جعله من جملة (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) الذى يمكن صدقها و كذبها **15**

سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾  
 فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أِنِ اعْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ  
 إِن كُنتُمْ صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾  
 فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَل لَّحْنٌ مَّحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا  
 إِنَّا كُنَّا ضَالِّينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَمَّضُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يُونُسُ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يَبْدِلَنَا  
 خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ  
 جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾  
 إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾  
 سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾  
 يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

(سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) ثم تواعد تعالى من جرى منه ما وصف الله بأن الله سيسمه على خرطوميه في العذاب

و ليعذبه عذابًا ظاهرًا يكون عليه سمة و علامة في أشق الأشياء عليه و هو وجهه ﴿١٦﴾

(إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير و أمهلناهم و أمددناهم بما شئنا من مال  
 و ولد و طول عمر و نحو ذلك مما يوافق أهواءهم لا لكرامتهم علينا بل ربما يكون استدراجًا لهم من حيث  
 لا يشعرون

قصة أصحاب الجنة 33-17

فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة الذين هم فيها شركاء حين زهت ثمارها أينعت أشجارها و آن  
 وقت صرامها و جزموا أنها في أيديهم و طوع أمرهم و أنه ليس ثم مانع يمنعهم منها

(إِذْ أَقْسَمُوا) و لهذا أقسموا أنهم (لَيَصْرِمُنَّهَا) يجذونها

(مُصْبِحِينَ) لم يدروا أن الله بالمرصاد و أن العذاب سيخلفهم عليها و يبادرهم إليها 17

(وَلَا يَسْتَنْتُونَ) حلفوا و لم يقولوا: إن شاء الله 18

(فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ) عذاب نزل عليها ليلا-آفة سماوية

(وَهُمْ نَائِمُونَ) فأبادها و أتلها 19



(فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) كالليل المظلم ذهبت الأشجار و الثمار هذا و هم لا يشعرون بهذا الواقع الملم **20**

(فَنَادَوْا) و لهذا تنادوا فيما بينهم (مُضْطَجِعِينَ) لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: **21**

(أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ) قاصدين له **22**

(فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفُونَ) فيما بينهم و لكن بمنع حق الله **23** و يقولون:

(أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ) بكروا قبل انتشار الناس و تواصلوا مع ذلك بمنع الفقراء و المساكين

و من شدة حرصهم و بخلهم أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة خوفاً أن يسمعهم أحد فيخبر الفقراء **24**

(وَعَدُوا) و ساروا في أول النهار فى هذه الحالة الشنيعة و القسوة و عدم الرحمة

(عَلَى حَرْبٍ قَدِيرٍ) على إمساك و منع لحق الله جازمين بقدرتهم عليها **25**

(فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا) على الوصف الذي ذكر الله كالصريم قَالُوا من الحيرة والانعراج.

(إِنَّا لَصَائِلُونَ) تائهون عنها لعلها غيرها **26**

فلما تحققوها و رجعت إليهم عقولهم قالوا:—(بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) منها فعرفوا حينئذ أنه عقوبة **27**

ف—(قَالَ أَوْسَطُهُمْ) أعدلهم و أحسنهم طريقة-خيرهم (ليس المقصود أوسطهم فى السن)

(أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ-أَوْ: هَلَّا تُسَبِّحُونَ اللَّهُ وَ تَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ وَ أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ **28**

(قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ)

استدركوا بعد ذلك و لكن بعد ما وقع العذاب على جنتهم الذى لا يرفع

و لكن لعل تسييحهم هذا و إقرارهم على أنفسهم بالظلم ينفعهم في تخفيف الإثم و يكون توبة و لهذا ندموا

ندامة عظيمة **29**

(فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ) فيما أجروه و فعلوه **30**

(قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) متجاوزين للحد في حق الله و حق عباده **31**

(عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا) فهم رجوا الله أن يبدلهم خيراً منها

(إِنَّا إِلَيْنَا رِجَاءُ رَبِّنَا رَغِبُونَ) و وعدوا أنهم سيرغبون إلى الله و يلحون عليه في الدنيا

فإن كانوا كما قالوا فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيراً منها لأن من دعا الله صادقاً و رغب إليه و رجاه أعطاه سؤله **32**

قال تعالى مبينا ما وقع: **(كَذَلِكَ الْعَذَابُ)**

الدنيوى لمن أتى بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشئ الذي طغى به و بغى و أثر الحياة الدنيا و أن يزيله عنه أحوج ما يكون إليه.

**(وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ)** من عذاب الدنيا

**(لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** فإن من علم ذلك أوجب له الانزجار عن كل سبب يوجب العذاب و يحل العقاب .  
لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَ مَا أَصَابَهُمْ فِيهَا مِنَ النُّقْمَةِ حِينَ عَصَوْا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَ خَالَفُوا  
أَمْرَهُ بَيَّنَّ أَنَّ لِمَنِ اتَّقَاهُ وَأَطَاعَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ الَّتِي لَا تَبِيدُ وَ لَا تَفْرُغُ وَ لَا يَنْقُضُ نَعِيمُهَا **33**

**(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ)** يخبر تعالى بما أعدّه للمتقين للكفر و المعاصى من أنواع النعيم و العيش

اقامة الحجة على المجرمين 34-47

السليم في جوار أكرم الأكرمين و أن حكمته تعالى لا تقتضى **34**

**(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ)** أن يجعل المسلمين :-

القـانـتين لربهم المنقـادين لأوامره المتبعيـن لمراضيه

**(كَالْجُرْمِينَ) :-**

الذين أوضعوا في معاصيه والكفر بآياته و معاندة رسله و محاربة أوليائه وأن من ظن أنه يسويهم فى الثواب **35**

**(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)**

فإنه قد أساء الحكم و أن حكمه حكم باطل ورأيه فاسد و أن المجرمين إذا ادعوا ذلك **36**

**(أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ)** فليس لهم مستند لا كتاب فيه يدرسون و يتلون أنهم من أهل الجنة **37**

**(إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ)** و أن لهم ما طلبوا و تخيروا **38**

**(أَمْ لَكُمْ آيَاتُنْ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ)** و ليس لهم عند الله عهد و يمين بالغة

**(إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا)** ما **(تَحْكُمُونَ)** به لأنفسكم كما تشاءون **39**

**(سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ)** أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة فإنه لا يمكن التصدر بها و لا الزعامة فيها **40**

**(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ)** و ليس لهم شركاء و أعوان على إدراك ما طلبوا

(فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) فإن كان لهم شركاء و أعوان فليأتوا بهم إن كانوا صادقين

و من المعلوم أن جميع ذلك منتف فليس لهم كتاب و لا لهم عهد عند الله في النجاة

و لا لهم شركاء يعينونهم فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة 41

\*إذا كان يوم القيامة و انكشف فيه من القلاقل و الزلازل و الأهوال ما لا يدخل تحت الوهم و أتى الباري

لفصل القضاء بين عباده و مجازاتهم

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء و رأى الخلائق من جلال الله

و عظمته ما لا يمكن التعبير عنه

(وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ)

في الدار الآخرة بإجرامهم و تكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه.

و لما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم و سلامتهم

كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلّى الرب عز وجل

فيسجد له المؤمنون (الذين كانوا يسجدون لله طوعاً و اختياراً)

و لا يستطيع أحد من الكافرين و لا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبعاً واحداً كلما أراد

أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود (تكون ظهورهم كصياري البقر لا يستطيعون الانحناء) كما كانوا

في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون.

\*البخارى 7439 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»

قُلْنَا: لَا قَال: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَايَهُمَا»

ثُمَّ قَالَ: -يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صُلِيِّهِمْ

و أَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَ أَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ

أَوْ فَاجِرٍ وَ غِبْرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِهِمْ تُعْرَضُ كَانَهَا سَرَابٌ

فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: -مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ

فَيُقَالُ: -كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَ لَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا

فَيُقَالُ: -اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ

ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ

فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَ لَا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا

فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ

فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ (ما يمنعكم من الذهاب ويقعدكم عنه) وَ قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟

فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَ نَحْنُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْيَوْمِ

وَ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَ إِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا

قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ

فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَلَا يَكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟  
 فَيَقُولُونَ: السَّاقُ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَ سَمْعَةً  
 فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا (كالصفيحة الواحدة فلا ينثني للسجود ولا يقدر عليه)

ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ.....(42)

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ  
سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾  
أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾  
لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُمْ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ. فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾  
وَلَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

69- سورة الحاقة- مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾  
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾  
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾

(خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ) منكسرة أبصارهم لا يرفعونها

(تَرَهِقُهُمْ) (ذَلَّةٌ) تغشاهم (شديدة من عذاب الله

(وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ)

فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله و توحيده و عبادته

(وَهُمْ سَلِيمُونَ) لا علة فيهم فيستكبرون عن ذلك و يأبون

فلا تسأل يومئذ عن حالهم و سوء مآلهم فإن الله قد سخط عليهم و حقت عليهم كلمة العذاب و تقطعت  
أسبابهم و لم تنفعهم الندامة و لا الاعتذار يوم القيامة ففى هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصى  
و يوجب التدارك مدة الإمكان 43  
و لهذا قال تعالى:

(فَذَرْنِي) (دعنى) (وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) و المكذبين بالقرآن العظيم فإن عاى جزاءهم و لا تستعجل لهم

ف— (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)

كقوله { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ

مُبْلِسُونَ } [الأنعام: 44]

فمندهم بالأموال و الأولاد و نمدهم في الأرزاق و الأعمال ليغتروا و يستمروا على ما يضرهم

فإن وهذا من كيد الله لهم و كيد الله لأعدائه متين قوى يبلغ من ضررهم وعذابهم فوق كل مبلغ **44**

(وَأَمِلْ لَهُمْ) وَأَوْخَرَهُمْ وَأَنْظِرُهُمْ وَأَمُدَّهُمْ وَ ذَلِكَ مِنْ كَيْدِي وَ مَكْرِي بِهِمْ

(إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) عَظِيمٌ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَ كَذَّبَ رُسُلِي وَ اجْتَرَأَ عَلَى مَعْصِيَتِي

\*البخاري -4686 عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ (ليمهل) لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ (لم يخلصه ولم يتركه حتى يستوفي عقابه)»

قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 45]

(أَمْ تَسْتَأْذِنُ) أيها الرسول هؤلاء المشركين

(أَجْرًا) أجرا دنيويا على تبليغ الرسالة

(فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ) غرامة ذلك

(مُثْقَلُونَ) مكلفون حملاً ثقيلاً ؟

ليس لنفورهم عنك و عدم تصديقهم لما جئت به سبب يوجب لهم ذلك فإنك تعلمهم و تدعوهم إلى الله

لمحض مصلحتهم من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرمًا يثقل عليهم **46**

(أَمْ) بل أ (عِنْدَهُمْ) علم (الْغَيْبِ)

(فَهُمْ يَكْتُوبُونَ) عنه ما يحكمون به لأنفسهم من أنهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به؟

—ما كان عندهم من الغيوب و قد وجدوا فيها أنهم على حق و أن لهم الثواب عند الله فهذا أمر ما كان

و إنما كانت حالهم حال معاند ظالم. فلم يبق إلا الصبر لأذاهم و التحمل لما يصدر منهم و الاستمرار على

دعوتهم **47**

و لهذا قال: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) لما حكم به شرعًا و لا قدرًا

فالحكم القدرى: —يصبر على المؤذى منه و لا يتلقى بالسخط و الجزع

و الحكم الشرعى: —يقابل بالقبول و التسليم و الانقياد التام لأمره.

(وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) و هو يونس بن متى عليه السلام أى:

و لا تشابهه في الحال التي أوصلته و أوجبت له الانحباس في بطن الحوت و هو عدم صبره على قومه

الصبر المطلوب منه و ذهابه مغاضبًا لربه حتى ركب في البحر

\*فاقترع أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يلقون لكى تخف بهم فوقعت القرعة عليه فالتقمه الحوت



و هو مليم

(إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ) مكروب مملوء غمًا طالبًا تعجيل العذاب لهم و هو في بطنها

\*البخارى -3412 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: -لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ مَتَّى»

بأن قال {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: 87] فاستجاب الله له كما قال الله: -

{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء: 88]

{فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} 14 لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصفات: 143 144] 48

و لهذا قال هنا: (لَوْلَا أَنْ تَذَرَكُمُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ) بتوفيقه للتوبة و قبولها لَطَرَحَ بِالْأَرْضِ الْفُضَاءَ الْمَهْلَكَةَ

(لَتَيْذَ) لطرَحَ (بِالْعَرَاءِ) بلل الأرض الخالية من بطن الحوت

(وَهُوَ مَذْمُومٌ) آتٍ بما يلام عليه 49

و لكن الله تغمدته برحمته فنبذ و هو ممدوح و صارت حاله أحسن من حاله الأولى و لهذا قال:

(فَاجْتَنِبْهُ) اختاره و اصطفاه و نقاه (رَبَّهُ) من كل كدر

(فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الذين صلحت أعمالهم و أقوالهم و نياتهم و أحوالهم

فامتثل نبينا محمد ﷺ أمر ربه فصبر لحكم ربه صبرًا لا يدركه فيه أحد من العالمين.

فجعل الله له العاقبة للمتقين {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: 128] و لم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوءهم 50

(وَلَا يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا) حتى إنهم حرصوا (لِيَرْزُقُنَاكَ) يصيبوه (بِأَبْصَرِهِمْ) من حسدهم و غيظهم و حنقهم

هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلى و الله حافظه و ناصره

\*مسلم -2188 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

الْعَيْنُ حَقٌّ وَ لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَ إِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا» ( )

\*مسلم -2186 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ:

بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»

\*أحمد -27470 عَنْ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ ﷺ قَالَ:

قَالَتْ أَسْمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَنِي جَعْفَرٍ تُصِيبُهُمُ الْعَيْنُ أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ

و لو كان شيء سابق القدر سبقته العين) فيه إثبات القدر وهو حق بالنصوص وإجماع أهل السنة  
و معناه أن الأشياء كلها بقدر الله تعالى ولا تقع إلا على حسب ما قدرها الله تعالى وسبق بها علمه فلا يقع ضرر  
العين ولا غيره من الخير والشر إلا بقدر الله تعالى و فيه صحة أمر العين وإنها قوية الضرر

(لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ)

و أما الأذى القولى فيقولون فيه أقوالا بحسب ما توحى إليهم قلوبهم

فيقولون تارة « مجنون » و تارة « ساحر » و تارة « شاعر » 51

(وَمَا هُوَ) و ما هذا القرآن الكريم و الذكر الحكيم (لَا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) يتذكرون به مصالح دينهم و دنياهم 52

### 69-تفسير سورة الحاقة-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

(الْحَاقَّةُ) من أسماء يوم القيامة لأنها تحق و تنزل بالخلق و تظهر فيها حقائق الأمور و مخبات الصدور 1

فَعَظَّمَ تعالى شأنها و فخمه بما كرره من قوله: (مَا الْحَاقَّةُ) ما القيامة الواقعة حقًا في صفتها و حالها ؟ 2

(وَمَا) و أى (أَذْرَبَكَ) أدراك -أيها الرسول- و عَرَّفَكَ (مَا الْحَاقَّةُ) حقيقة القيامة و صَوَّرَ لك هولها و شدتها؟

\*فإن لها شأنًا عظيمًا و هولًا جسيما و من عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل 3  
ثم ذكر نموذجًا من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها و هو ما أحله من العقوبات البليغة بالأمم العاتية فقال:

(كَذَّبَتْ ثَمُودٌ) و هم القبيلة المشهورة سكان الحجر الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحا عليه السلام ينهاهم عما هم عليه من الشرك و يأمرهم بالتوحيد فردوا دعوته و كذبوه و كذبوا ما أخبرهم به من يوم القيامة و هي القارعة التي تفرع الخلق بأهوالها

(وَعَادٌ) كذلك عاد الأولى سكان حضرموت حين بعث الله إليهم رسوله هود عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده فكذبوه و كذبوا بما أخبر به من البعث فأهلك الله الطائفتين بالهلاك المعجل

(بِالْقَارِعَةِ) بالقيامة التي تفرع القلوب بأهوالها 4

(فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) الصيحة العظيمة الفظيعة التي انصدعت منها قلوبهم و زهقت لها أرواحهم فأصبحوا موتى لا يرى إلا مساكنهم و جثثهم 5

(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) باردة قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف

(عَاتِيَةٍ) عتت على خزانها -أو عتت على عاد و زادت على الحد كما هو الصحيح 6

(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ) سلطها عليهم

(سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) كوامل متتابعات مشائيم -نحسا و شرا فظيعا عليهم فدمرتهم و أهلكتهم

(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) هلكى موتى

(كَانَتْهُمْ أَعْمَارُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ) خربة-أو-باليّة أي: جَعَلَتِ الرِّيحُ تَضْرِبُ بِأَحَدِهِمُ الْأَرْضَ فَيَخِرُّ مَيِّتًا عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ فَيَنْشَدُخُ رَأْسُهُ وَ تَبْقَى جُثَّتُهُ هَامِدَةً كَأَنَّهَا قَائِمَةٌ النَّخْلَةِ إِذَا خَرَّتْ بِلاَ أَغْصَانٍ.

\*البخارى -1035 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-

نُصِرْتُ بِالصَّبَا (الرياح التي تهب من مشرق الشمس و نصرت بها ﷺ)

(كانت يوم الخندق إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم)

وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ (الرياح التي تهب من مغرب الشمس وبها كان هلاك قوم عاد كما قص علينا القرآن الكريم)

(فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) و هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر.

\*هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَقَايَاهُمْ أَنَّهُ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِمْ؟

بَلْ بَادُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ خَلْفًا 8

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾  
 إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَةٌ وَاحِدَةٌ  
 ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾  
 وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهِمْ لِيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾  
 يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِرِيسْمِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً ﴿١٩﴾  
 إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾  
 كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً  
 ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾  
 خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾  
 إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

(وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ) وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد و ثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده و رسوله موسى بن عمران عليه السلام وأراه من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحقو لكن جحدوا و كفروا ظلما و علوا و جاء من قبله من المكذبين

(وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) قرى قوم لوط الجميع جاءوا

(بِالْحَاطِئَةِ) بالفعل الطاغية وهى الكفر والتكذيب والظلم و المعاندة وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش 9

(فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) و هذا اسم جنس - أى: كل من هؤلاء كذب الرسول الذي أرسله الله إليهم.

فأخذ الله الجميع (أَخَذَةً رَابِيَةً) زائدة على الحد و المقدار الذى يحصل به هلاكهم.

ومن جملة أولئك قوم نوح أغرقهم الله في اليم حين طغى الماء على وجه الأرض و علا على مواضعها الرفيعة و امتن الله على الخلق الموجودين بعدهم أن الله حملهم 10

(إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) السفينة فى أصلاب آبائهم و أمهاتهم الذين نجاهم الله 11

فاحمدوا الله و اشكروا الذى نجاهم حين أهلك الطاغين و اعتبروا بآياته الدالة على توحيده

و لهذا قال: (لِنَجْعَلَهَا) الجارية و المراد جنسها

(لَكُنْ تَذَكُّرًا) موعظة تذكركم أول سفينة صنعت و ما قصتها و كيف نجى الله عليها من آمن به و اتبع رسوله و أهلك أهل الأرض كلهم فإن جنس الشيء مذكر بأصله.

(وَتَعِيمًا أُذُنًا وَعِيَةً) تعقلها أولو الأبواب و يعرفون المقصود منها و وجه الآية بها.

و هذا بخلاف أهل الإعراض و الغفلة و أهل البلادة و عدم الفطنة فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله و فكرهم بآيات الله

لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسله و كيف جازاهم و عجل لهم العقوبة في الدنيا و أن الله نجى الرسل و أتباعهم كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي و توفية الأعمال كاملة يوم القيامة.

فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة 12

من أهوال القيامة 13-18

(فَإِذَا نَفَخَ) و أن أول ذلك أنه ينفخ إسرافيل (فِي الصُّورِ) إذا تكاملت الأجساد نابثة.

(نَفْخَةً وَاحِدَةً) فتخرج الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين 13

(وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)

فتت الجبال و اضمحلت و خلطت بالأرض و نسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمتا. هذا ما يصنع بالأرض و ما عليها 14

(فِيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ) قامت (الْوَاقِعَةُ) القيامة 15

(وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ) و أما ما يصنع بالسماء فإنها تضطرب و تمور و تتشقق و يتغير لونها

(فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ضعيفة

\* و تهى بعد تلك الصلابة و القوة العظيمة و ما ذاك إلا لأمر عظيم أزعجها و كرب جسيم هائل أوهأها و أضعفها كقوله {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا} [النبا: 19] 16

(وَالْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ)

(عَلَى أَرْجَائِهَا) على جوانب السماء و أركانها خاضعين لربهم مستكينين لعظمته.

(وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةً)

أملاك في غاية القوة إذا أتى للفصل بين العباد و القضاء بينهم بعدله و قسطه و فضله.

\* أبي داود 4727- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ

مِائَةِ عَامٍ» 17

و لهذا قال: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) على الله

(لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) لا من أجسامكم و أجسادكم و لا من أعمالكم و صفاتكم فإن الله تعالى عالم الغيب و الشهادة. و يحشر العباد حفاة عراة غرلا في أرض مستوية يسمعهم الداعي و ينفذهم البصر فحينئذ يجازيهم بما عملوا 18

مصير و جزاء أصحاب اليمين 19-24

و لهذا ذكر كيفية الجزاء فقال: (فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِإِيمَانِهِ)

و هؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزا لهم و تنويها بشأنهم و رفعا لمقدارهم

و يقول أحدهم عند ذلك من الفرح و السرور و محبة أن يطلع الخلق على ما من الله عليه به من الكرامة:—  
(فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ) خذوا

(أَقْرَأُوا كِتَابَهُ) دونكم كتابي فاقرواؤه فإنه يبشر بالجنات و أنواع الكرامات و مغفرة الذنوب و ستر العيوب 19  
و الذي أوصلني إلى هذه الحال ما من الله به علي—  
الإيمان بالبعث و الحساب و الاستعداد له بالممكن من العمل

و لهذا قال: (إِنِّي ظَنَنْتُ) أيقنت فالظن—هنا—بمعنى اليقين (أَنِّي مُلْتَقٍ بِحَسَابِيَةِ) 20

(فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) جامعة لما تشتهيهِ الأنفس و تلذ الأعين و قد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها 21  
(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) المنازل و القصور عالية المحل.

\*البخاري-2790 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ بَرَّسُولِهِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ صَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ (أفضلها وخيرها) وَ أَعْلَى الْجَنَّةِ-أَرَاهُ (أظنه)-فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَ مِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» 22

(فَطَرُفُهَا) ثمرها و جناها من أنواع الفواكه



(دَانِيَةً) قريبة سهلة التناول على أهلها ينالها أهلها قياما و قعودا و متكئين **23**

و يقال لهم إكراما: (كُلُوا وَاشْرَبُوا) من كل طعام لذيذ و شراب شهى

(هَنِيئًا) تاما كاملا من غير مكدر و لا منغص و ذلك الجزاء حصل لكم

(بِمَا أَسْلَفْتُمْ) قدمتم

(فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الماضية من الأعمال الصالحة و ترك الأعمال السيئة من صلاة و صيام و صدقة و حج و إحسان إلى الخلق و ذكر الله و إنابة إليه.

فالأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة و مادة لنعيمها و أصلا لسعادتها.

\*البخارى 6467 - عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَدُّوا وَ قَارِبُوا وَ أَبْشُرُوا فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»  
قَالُوا: وَ لَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي (يسترن) اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ رَحْمَةٍ»  
..... قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

«سَدُّوا وَ أَبْشُرُوا» قَالَ مُجَاهِدٌ: {قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9]: وَ سَدَادًا: صَدَقًا

(والسداد الصواب من القول و السديد ما أصاب الفصل والقصد ووافق العدل والشرع) **24**

(وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابُهُ بِشَمَالِهِ) (

هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزا لهم و خزيا و عارا و فضيحة

(فَيَقُولُ) أحدهم من الهم و الغم و الخزي

مصير و جزاء أصحاب الشمال 25-37

(يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً) لأنه يبشر بدخول النار و الخسارة الأبدية **26**

(وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةً) ليتري كنت نسيا منسيا و لم أبعث و أحاسب

(يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ) تهرى الموت و لم يكن شئ في الدنيا أكره إليه منه

أي: يا ليت موتى هي الموتة التي لا بعث بعدها ثم التفت إلى ماله و سلطانه فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه

لآخرته و لم ينفعه في الافتداء من عذاب الله **27**

فيقول: - (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةً) ما نفعرى لا في الدنيا لم أقدم منه شيئا و لا في الآخرة قد ذهب وقت نفعه **28**

(هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً) حجبني

ذهب و اضمحل فلم تنفع الجنود الكثيرة و لا العدد الخطيرة و لا الجاه العريض

بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح و فاتت بسببه المتاجر والأرباح و حضر بدله الهموم و الغوم و الأتراح

فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد:- **(خُذُوهُ فَعَلُوهُ)** اجعلوا في عنقه غلا يخنقه **30**

**(ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)** قلبوه على جمرها و لهبها- اغمروه فيها **31**

**(ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ)** من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة **(ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا)** بذراع الملك

**(فَأَسْلَكُوهُ)** انظموه فيها بأن تدخل في دبره و تخرج من فمه و يعلق فيها فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع

فبئس العذاب و العقاب و واحسرة من له التوبيخ و العتاب **32**

فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل:-

**(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)** بأن كان كافرا بريه معاندا لرسله رادا ما جاءوا به من الحق **33**

**(وَلَا يَحْضُ)** يحث **(عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)**

ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء و المساكين فلا يطعمهم من ماله و لا يحض غيره على إطعامهم لعدم  
الوازع في قلبه

و ذلك لأن مدار السعادة و مادته — أمران:

1- **الإِخْلَاصُ** — لاص لله الذي أصله الإيمان بالله

2- **و الإِحْسَانُ** إلى الخلق بوجوه الإحسان الذي من أعظمها دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به

و هؤلاء لا إخلاص و لا إحسان فلذلك استحقوا ما استحقوا **34**

## ◀ آياتٌ مخيفةٌ لمن تأمل! ▶

في جو هادئ ولحظات سكون؛ كنت في زاوية أتلو كتاب ربي، وأتأمل ما فيه من عِظَاتٍ وعبر، وما فيه من نداءات من الرحمن سبحانه لنا، كُنْتُ أرتل قول الله: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۚ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ﴾ (١). الحاقة: ١٣-١٥.

فسمعتُ فجأةً صوتًا عاليًا مخيفًا، فارتجفتُ وارتعدت فرائصي: ما الذي يحصل يا ترى؟

أهي طائرة سقطت؟ ربما انفجار غاز، أو كهرباء! يا إلهي ما الذي يحصل؟ هل سأموت؟؟ لا لا أستطيع تخيل ذلك.

كدتُ أفقد عقلي من شدة الخوف، لكن فجأةً سكت الصوت! أخذت بعدها أتأمل للحظات!، الحمد لله لم يحدث شيء مما توقعت، ولا زلتُ على قيد الحياة، لم أعلم إلى الآن ما كان ذلك الصوت، لكن كلُّ ما أدركته هو ذلك الخوف الذي انتابني وكاد يقتلني، لا إله إلا الله، هذا صوت مخيف فقط وليس معه اهتزاز للأرض، ومع هذا فقد جُنَّ جنوني خوفًا منه، فيا ويح قلبي؛ ما حالي يوم القيامة؟ ما حالي عندما أسمع النفخ في الصور؟ ما حالي إذا اهتزت الأرض، وانشقت السماء؟ بل كيف بي إذا عُرِضْتُ على ربي لا يخفى عليه شيء من أمري؟ عاودت قراءة تلك الآيات، لا إله إلا الله، آياتٌ مخيفةٌ حقًا لمن تأملها، ربِّ ارحم يوم العرض عليك ذلَّ مقامنا، وثبَّتْ على الصراط أقدامنا، ربِّ ارحم ضعفنا، وتولَّ أمرنا، واجبر كسرنا، آمين.

## ﴿وَلِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾

أنا امرأة متزوجة ولدي طفلتان، وبسبب ظروف الحياة الصعبة، وبسبب دراستي الجامعية اندرجتُ في العمل بأحد البنوك الربوية، وأنا أحب بطبيعتي التفاني والإخلاص في العمل؛ فكنت من الموظفين النشيطات المتميزات والمحجوبات من الزبائن، لا أزعم أنني لم أكن أعلم أن العمل بالربا حرام؛ ولكن لم يكن لدي الوازع الديني القوي لِرَدْعِي، وبالرغم من ذلك كنت دائماً أشعر أن هناك خطأ ما، وأن مكاني المناسب ليس هنا، إلى أن تُوِّفِّي أبي وبدأتُ بقراءة القرآن بتدبر فتأثرت جداً بقوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّفِيَ كُنْهَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْسَ لِيَ لَمْ أُوتَ كِتَابَهُ ۖ (٢٥) وَلَمْ أَدرَ مَا حِسَابُهُ (٢٦) يَلَيْسَ لَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ (٢٩) خُدُوهُ فَعُلُوهُ (٣٠) نَرَى الْجَحِيمَ صَلْوَهُ (٣١) نَرَى فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾، فكانت هذه الآيات تصيني بنوبة بكاء شديدة، وخوف وهلع كلما تصورت نفسي مع مَنْ سيؤتى كتابه بشماله، فكنت في داخلي أتمنى أن

الحاقة

أصبح من الأخوات الملتزمات، ومع الوقت تكاثرت الديون الربوية علي وعلى زوجي لبناء البيت فكنت مقيدة بها شرّ تقييد.

وفي إحدى الليالي تسلفت من فراشي وفرشت سجادتي وصليت ورفعت يدي لله، وسألته أن يتوب علي من العمل في البنوك، وأن يدبر لي لأنني لا أحسن التدبير، وأن يختار لي لأنني لا أحسن الاختيار.

وعلمت فيما بعد بأنني في هذا الدعاء قد تبرأت من حوْلِي وقُوِّي دون أن أشعر، وحصل بعد ذلك أن انتقلنا لفرع جديد لهذا البنك تم تأسيسه، فبدأت الزيادات والترقيات وشهادات الشكر، وزاد حب الزبائن وتقدير المديرين لي، حتى أصبحت إن غبت عن العمل تتعطل المعاملات المنوطة بي، وأصبحت أديرُ مَنْصِبَيْنِ معاً في آن واحد، وبعد ثلاثة أشهر فقط من تأسيس الفرع الجديد شعرت فجأةً بألم شديد في خاصرتي؛ فأخذني زوجي إلى المستشفى، وتم اكتشاف ورم خبيث (سرطاني) أدى إلى استئصال الرحم بالكامل، وكانت النتائج تقول بأن عُمرَ الورم ثلاثة أشهر فقط، فعلمتُ مباشرةً أن هذا هو ترتيب رب العالمين لي؛ لأن عُمرَ المرض هو نفسه عُمرُ تأسيس الفرع الجديد.

كان أول ما فعلته أن كتبت استقالتني من البنك دون تفكير، وقد تعرضت لضغوط كثيرة من الأهل والمديرين في البنك، ونصحوني بعدم التسرع لأني واقعة تحت ضغط نفسي يمنعني من التفكير السليم، لكنني كنت متيقنة بأن الله سيختار لي، وبعدها خضعتُ للعلاج الكيماوي، وكان زوجي -بعد الله تعالى- خير عونٍ ورفيقٍ وصاحبٍ لي في هذا الابتلاء، وكان كتابُ الله بيدي دائماً، فاستوقفتني فيه

آية في سورة الإسراء تقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِّمْتُمْ عُذُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، دَخَلَتِ الآيةُ قلبي وكأنها خطابٌ وتحذيرٌ من رب العالمين لي مباشرة، كي تحذرنِي الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى، فكانت كلمة: ﴿وَإِنْ عُثِّمْتُمْ عُذُنَا﴾ تتردد على مسامعي كلما عاودني الحنين للعمل أو لزميلاتي أو لمكتبي، وبعدها فوجئتُ أن البنك قد أعطاني مساعدة مالية كبيرة، بالإضافة لحقوق نهاية الخدمة، وأن البنك الآخر قد أسقط عني نصف القرض، وكنتُ أسمع صوتاً يتردد في داخلي يقول لي:

لا عذر لك الآن، لقد شفيناك ومنحناك فرصة جديدة للحياة، ورزقناك من المال الحلال ما يُسقط كل ديونك، وأعطيناك زيادة لتبدأ حياتك من جديد؛ فإن عدتِ عدنا!

وكانت بداية التحول في حياتي، فبدأت بدراسة العلم الشرعي، وحضور مجالس الذكر؛ حتى أصبحت مديرة مركز نسائي دعوي ناجح. أسأل الله القبول. واليوم - وبعد مرور أكثر من أربع سنوات - لا زالت تلك الآية تتردد في مسامعي: ﴿وَإِنْ عُثِّمْتُمْ عُذُنَا﴾، حتى إن زوجي كان يكررها عليّ كلما آنس مني ضعفاً أو حنيناً لعملي السابق، أو كلما مررنا بالبنك فوجدني أتطلع إلى الداخل لأرى الموظفين الجدد الذين يجلسون مكاني، فيكرر عليّ: ﴿وَإِنْ عُثِّمْتُمْ عُذُنَا﴾ فأبتعدُ مباشرة بنظري عن البنك، متذكرة مرضي والمحنة التي مررت بها، وإن عدت فسيعود، فأستغفر الله وأحمده.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِّمْتُمْ عُذُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

لقد كانت هذه الآية - ولا تزال - خطأً أحمر بالنسبة لي، وجرس إنذار قوي لا يمكنني تجاوزه، فالحمد لله.

### الاعجاز العلمي في (إننا لما طغا الماء حملناكم في الجارية) الرابط

في منتصف شهر مايو من سنة 1948م اكتشف أحد رعاة الأغنام من الأكراد واسمه رشيد سرحان سفينة سيدنا نوح - عليه السلام - بقايا من أخشابها مطمورة في رسوبيات مياه عذبة في قمة جبل (الجودي) وكان الراعي رشيد من سكنة قرية «Nasar» «Nisir» التركية والمدهش هنا أن اسم هذه القرية مطابق تماماً للاسم البابلي للقرية العاصية التي كان يسكنها سيدنا نوح. وفي الأعوام التي تلت عام 1953 قامت عدة بعثات أثرية بزيارة موقع جبل الجودي (Judi) (Mt.Cudi) في تركيا وعاينت الأخشاب المتحجرة للسفينة و فحصتها بنظير الكاربون المشع للتعرف على عمرها الحقيقي و وجدت أنها صنعت قبل حوالي 4500 سنة وان هذا التقدير العمري المبني على قراءات أجهزة الفحص الفيزيائية يتطابق تماماً مع ما ورد في المدونات السومرية.

بيد أن الفضل الكبير في اكتشاف أسرار وخبايا الموقع الذي رست فيه سفينة نوح - عليه السلام - NOAH'S ARK و التوسع في شرح التفاصيل الدقيقة المتعلقة بتلك السفينة ورحلتها الأسطورية يعزى إلى الباحثين ديفيد فاسولد David Fasold و رون وايت Ron Wyatt



ويعزى أيضا إلى جهود البروفسور التركي أحمد أرسلان الذي تسلق جبل الجودي أكثر من 50 مرة على مدى 40 عام لاستطلاع موقع السفينة حيث جاءت إحدائيات الموقع المكتشف تحت جبل الجودي مطابقة تماما للموقع الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. قال تعالى

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (هود: 44).

و كانت الصور التي رسمتها أجهزة الرادار على عمق خمسة وسبعين قدماً أسفل الجزء الخلفي من السفينة واضحة جداً لدرجة أنه يمكن عد أضلاع السفينة والتعرف على سطوحها و قواطعها الداخلية.



مرسات للسفينة وجدت فوق جبل  
الجودي في تركيا



صورة لمكان السفينة على جبل الجودي في تركيا

و أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي عبرة وآية للناس جميعا وكم من سفينة قد أبحرت بعدها فهلكت وصارت حطاما. وعلى مقربة من قرية الثمانية تقع قرية أخرى يترجم اسمها إلى (لن يصمد الغراب) تعقبها قرية أخرى يطلق عليها محليا اسم يترجم إلى (هنا تم عكس المجاديف)

إن هذه القرى الثلاثة والتي تقع على امتداد الخط الواصل إلى موقع السفينة والتي تحمل أسماء تاريخية توثق الوقائع التي حدثت على ظهر السفينة قبيل استقرارها على الجودي تعتبر بمثابة دلائل أكيدة على خط سير السفينة قبيل جنوحها فقد مرت السفينة من هنا واجتازت النقاط الثلاثة التي حملت توقيع ربان السفينة (سيدنا نوح) ويمكننا الاستنتاج أيضا أن السفينة بدأت بتخفيض سرعتها والاستعداد للجنوح الآمن على منطقة ملائمة لها تماما بإذن الله

(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (هود: 48)



فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

70-سورة المعارج-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَبِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾

(فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا) يوم القيامة (حَمِيمٌ) قريب أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثواب الله 35

(وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) صديد أهل النار الذي هو في غاية الحرارة و نتن الريح و قبح الطعم و مرارته 36

(لَا يَأْكُلُهُ) لا يأكل هذا الطعام الذميم

(إِلَّا الْخَاطِئُونَ) الذين أخطأوا الصراط المستقيم و سلكوا سبل الجحيم فلذلك استحقوا العذاب الأليم 37

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ) أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء

حقيقة القرآن و تنزيهه 38-52

(وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) و ما لا يبصرونه فدخل في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة 38

(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم و أن الرسول الكريم بلغه عن الله

يَعْنِي: مُحَمَّدًا أَضَافَهُ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ لِأَنَّ الرَّسُولَ مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يُبْلَغَ عَنِ الْمُرْسَلِ

و لِهَذَا أَضَافَهُ فِي سُورَةِ التَّكْوِينِ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ 19 ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ 20

مُطَاعٍ ثُمَّ آمِينَ } [التكوير: 19 - 21] وَ هَذَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ)

إيمانكم قليل ضيق الدائرة فلو كان واسعاً لاتسع للإيمان بالقرآن إنه كلام الله ووحيه

و ليس هو من جنس الشعر لمخالفته له نظاماً و معنى<sup>41</sup>

(وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ)

الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان و يدعى معرفة الأسرار و قد كان في العرب كهنة كشق و سطيح و هو إنسان تخصص بالنظر في النجوم و قياس الأحداث الكونية بما يشاهده من متغيرات تطرأ على الكواكب و النجوم و هو مختص في الوساطة بين شياطين الجن و شياطين الإنس و يقوم الكاهن بأمور علاجية و يكتب وصفات الأعشاب فهو بمنزلة الطبيب و يسمى السيد فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن و رؤيا يلقى إليه الأخبار. و منهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حال وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق و مكان الضالة ونحوهما فالكاهن يلتف حوله المشركون بالله و ضعفاء النفوس من أتباعه وجميعهم في الحقيقة أتباع الشيطان و أولياؤه و رسل إبليس حقيقة صدق عليهم ظنه.. و صفة الكاهن والعراف تنطبق على المنجم و المخبر و أصحاب الفأل و أصحاب زجر الطير و أصحاب ضرب الرمل و أصحاب ضرب الحصى أو الودع و أصحاب الخط بالأرض ذكر ابن خلدون في مقدمته أن من خواص النفس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم و علم ما يحدث لهم من حياة و موت و خير و شر سيما الحوادث العامة كعرفة ما بقي من الدنيا و معرفة مدد الدول أو تفاوتها و التطلع إلى هذا طبيعة البشر مجبولون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام -فمن الكهانة استطلاع خبر السماء عن طريق مسترقى السمع من مرادة الشياطين و كان ذلك معروفا قبل بعث الرسول ﷺ

(قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ)

تذكركم قليل جدا فلو تذكركم كثيرا لعلمتم أن القرآن ليس بكلام الكهان لملازمته للصدق والحق والهدى ولبعد قائله عن الإثم والكذب بخلاف قول الكهان فإن سُداه و لحمته الكذب و قائله هو الإثم كله<sup>42</sup>

و أن ما جاء به (نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)

لا يليق أن يكون قول البشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به و جلالة أوصافه و كمال تربيته لعباده و علوه فوق عباده فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله و حكمته<sup>43</sup>

(وَلَوْ نَقُولُ) فإنه لو (عَلَيْنَا) افترى

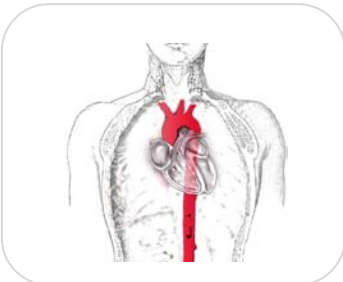
(بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) الكاذبة<sup>44</sup>

(لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) لبطشنا به و أخذنا بيمينه<sup>45</sup>

(ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) نياط القلب- عرق متصل بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان

الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب

\*الشريان الأبهر أو الأورطي و يسمى أدياً الوتين (بالإنجليزية: Aorta) هو أكبر شريان في جسم الإنسان



يخرج من البطن الأيسر من الأمام على يسار الشريان الرئوي ويتجه إلى أعلى واليمين خلف الشريان الرئوي. وهو يوزع الدم المؤكسج إلى جميع أنحاء الجسم عن طريق الدورة الدموية الكبرى التي تبدأ من البطن الأيسر وتنتهى في الأذين الأيمن.

فلو قدر أن الرسول - حاشا وكلا- تَقُول على الله لعاجله بالعقوبة وأخذه أخذ عزيز مقتدر لأنه حكيم على كل شيء قدير فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم وأنه هو وأتباعه لهم النجاة ومن خالفه فله الهلاك. فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات ونصره على أعدائه ومكنه من نواصيهم فهو أكبر شهادة منه على رسالته **46**

(فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ) لو أهلكه ما امتنع هو بنفسه و لا قدر أحد أن يمنعه من عذاب الله **47**

(وَإِنَّهُ) القرآن الكريم (لَنَذَكَّرُ\* لِلْمُنْفِقِينَ)

\*\*\*كقوله {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت: 44]

يتذكرون به مصالح دينهم و دنياهم فيعرفونها و يعملون عليها يذكرهم العقائد الدينية و الأخلاق المرضية و الأحكام الشرعية فيكونون من العلماء الربانيين و العباد العارفين و الأئمة المهديين **48**

(وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ) به

و هذا فيه تهديد و وعيد للمكذبين فإنه سيعاقبهم على تكذيبهم بالعقوبة البليغة **49**

(وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) ندامة بسبب تكذيبهم

{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ 200 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} [الشعراء]

فإنهم لما كفروا به و رأوا ما وعدهم به تحسروا إذ لم يهتدوا به و لم ينقادوا لأمره ففاتهم الشواب و حصلوا على أشد العذاب و تقطعت بهم الأسباب **50**

(وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ) الخبر الحق الذي لا مرية فيه و لا شك و لا ريب

أعلى مراتب العلم فإن أعلى مراتب العلم اليقين و هو العلم الثابت الذي لا يتزلزل و لا يزول **52**

و اليقين — مراتبه ثلاثة كل واحدة أعلى مما قبلها:

1- علم اليقين و هو العلم المستفاد من الخبر.

2- ثم عي — اليقين و هو العلم المدرك بحاسة البصر.

3- ثم ح — يقين و هو العلم المدرك بحاسة الذوق و المباشرة.

و هذا القرآن الكريم بهذا الوصف فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية و ما فيه من الحقائق

والمعارف الإيمانية يحصل به لمن ذاقه حق اليقين.

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) نزهه عما لا يليق بجلاله وقده بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله **52**

### 70- تفسير سورة سأل سائل (المعارج)-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى مبينا لجهل المعاندين و استعجالهم لعذاب الله استهزاء و تعنتا و تعجيزا:

(سَأَلَ) دعا (سَائِلٌ) داع و استفتح مستفتح

أهوال القيامة 1-18

(بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) فِي الْآخِرَةِ ﴿١﴾ (لِلْكَافِرِينَ) لاستحقاقهم له بكفرهم و عنادهم

(لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ)

كقوله {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: 47]

ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل من متمردي المشركين أحد يدفعه قبل نزوله أو يرفعه بعد

نزوله و هذا حين دعا النضر بن الحارث بن كلدة القرشي أو غيره من المشركين فقال:

{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال: 32]

فالعذاب لا بد أن يقع عليهم من الله:-

-فإما أن يعجل لهم في الدنيا

- و إما أن يؤخر عنهم إلى الآخرة

فلو عرفوا الله تعالى و عرفوا عظمتهم و سعة سلطانه و كمال أسمائه و صفاته لما استعجلوا و لاستسلموا

و تأدبوا ﴿٢﴾

و لهذا أخبر تعالى من عظمتهم ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال:- (مَنْ أَلَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ)

الدرجات-ذو العلو و الجلال و العظمة و التدبير لسائر الخلق

جمع لاسم المكان (مَعْرَجٌ) كأدق وصف للآفاق الممتدة حيث تسرى القوى بانحناء كمشية الأعرج

و الاكتشاف بأن مسارات القوى منحنية دفع الفيزيائيين لإطلاق تعبير الكون المنحني Curved Universe **3**

الذى (تَعْرُجُ) إليه (الْمَلَائِكَةُ) بما دبرها على تدبيره و تعرج (وَالرُّوحُ إِلَيْهِ)

و هذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها برها و فاجرها و هذا عند الوفاة

- فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله فيؤذن لها من سماء إلى سماء حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله

فتحي ربها و تسلم عليه و تحظى بقربه و تبتهج بالدنو منه و يحصل لها منه الشاء و الإكرام و البر والاعظام

-و أما أرواح الفجار فتعرج فإذا وصلت إلى السماء استأذنت فلم يؤذن لها و أعيدت إلى الأرض.

(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)

-ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة و الأرواح هناك احتمالا:-

1-أنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب و أعانها عليه من اللطافة و الخفة و سرعة السير مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها و ما تنتهى إليه من الملاء الأعلى فهذا الملك العظيم و العالم الكبير علويه و سفليه جميعه قد تولى خلقه و تدبيره العلى الأعلى فعلم أحوالهم الظاهرة و الباطنة و علم مستقرهم و مستودعهم و أوصلهم من رحمته و بره و رزقه ما عمهم و شملهم و أجرى عليهم حكمه القدرى و حكمه الشرعى و حكمه الجزائى.

\*فبؤسا لأقوام جهلوا عظمتهم و لم يقدره حق قدره فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز و الامتحان هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة فيكون هذا العروج و الصعود في الدنيا لأن السياق الأول يدل على هذا.

2-و يحتمل أن هذا فى يوم القيامة و أن الله تبارك و تعالى يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمتهم و جلاله و كبريائه ما هو أكبر دليل على معرفته مما يشاهدونه من عروج الأملاك و الأرواح صاعدة و نازلة بالتدابير الإلهية و الشئون في الخليقة فى ذلك اليوم الذى مقداره خمسون ألف سنة من طوله و شدته لكن الله تعالى يخففه على المؤمن.

\*مسلم (987) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ وَ لَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَ جَبِينُهُ وَ ظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَ إِمَّا إِلَى النَّارِ» 4

(فَاصْبِرْ) على دعوتك لقومك (صَبْرًا جَمِيلًا) لا تضجر فيه و لا ملل بل استمر على أمر الله و ادع عباده إلى توحيده و لا يمنعك عنهم ما ترى من عدم انقيادهم و عدم رغبتهم فإن فى الصبر على ذلك خيرا كثيرا.

كقوله {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} [الشورى: 18] 5

(إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَنَرَاهُ قَرِيبًا)

الضمير يعود إلى البعث الذى يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أى: إن حالهم حال المنكر له أو الذى غلبت عليه الشقوة و السكرة حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث و النشور والله يراه قريبا لأنه رفيق حلیم لا يعجل و يعلم أنه لا بد أن يكون و كل ما هو آت فهو قريب 7

\*ثم ذكر أهوال ذلك اليوم و ما يكون فيه فقال:- (يَوْمَ) القيامة تقع فيه هذه الأمور العظيمة

(تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ) الرصاص المذاب من تشققها وبلوغ الهول منها كل مبلغ- كدُرْدَى (ما رَسَبَ من عكر) الزيت 8

(وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) الصوف المنفوش ثم تكون بعد ذاك هباء منثورا فتضمحل 9

فإذا كان هذا القلق و الانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب و الأوزار؟ أليس حقيقا أن ينخلع قلبه و ينزعج لبه و يذهل عن كل أحد؟

و لهذا قال (وَلَا يَسْتَلْ حَمِيمٌ حَمِيمًا)

يشاهد الحميم و هو القريب حميمه فلا يبقى في قلبه متسع لسؤال حميمه عن حاله و لا فيما يتعلق بعشرتهم و مودتهم و لا يههمه إلا نفسه

كقوله {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: 37]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [لقمان: 33] 10

### سرعة الضوء في القرآن الكريم الرابط

و في القرن العشرين استخدمت في القياس تقنيات أكثر دقة ومع استخدام الليزر بلغت الدقة إلى حد أن الخطأ لا يتجاوز أجزاء قليلة من البليون وأخيرا بعد جهود استمرت حوالي ثلاثة قرون أمكن عام 1983 في مؤتمر القياسات في باريس تعريف المتر دوليا بالزمن اللازم ليقطعه الضوء (0.000000003335640952 ثانية) بناء على قيمة سرعة الضوء في الفراغ و هـ ي: 299792.458 (حوالي 300 ألف) كم\ثانية.  
\*قيمة ثابتة للانتقال في الكون:

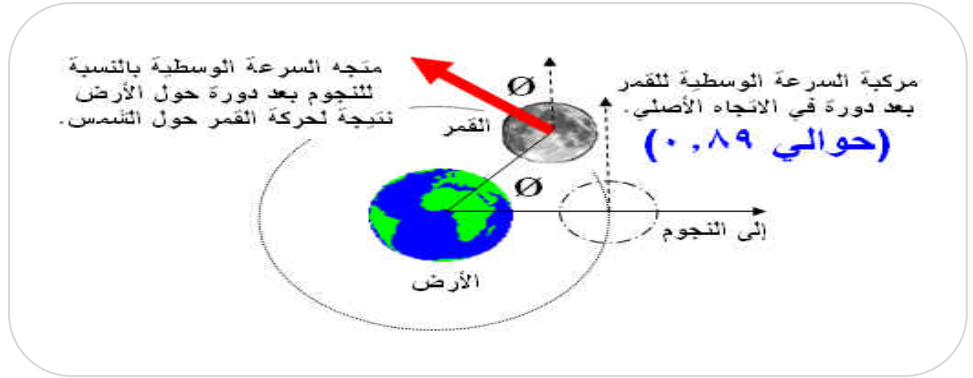
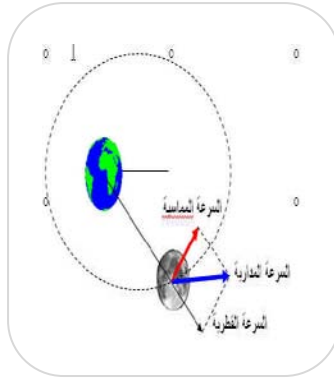
اعتاد العرب منذ القدم التعبير عن المسافة بزمن قطعها مع إضمار سرعة فيقال المسافة بين مكة والمدينة "نصف شهر" أي بالجمل ومع التقدم في الوسائل وتنامي سرعة الانتقال أصبحت نفس المسافة "نصف ساعة" بسرعة الطائرة ولذا تكون "الساعة كشهر" وسرعة القوى الفيزيائية Physical forces في الفراغ واحدة ويعبر عنها بقيمة سرعة الضوء في الفراغ وهي أعلى سرعة في الكون الفيزيائي وتعرف بالثابت الكوني للحركة Universal Constant of Motion وفي مقابل تلك القيمة الثابتة نجد قيمة ثابتة في مقام بيان سرعة قصوى يتضمنها التعبير " (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ)

والمقام قياس لما يقطع في يوم بتلك السرعة البالغة بمقياس سير ألف سنة لأن السياق يتعلق بقطع مسافة والتعبير (كَانَ مِقْدَارُهُ) يعني في اللغة (كان مقياسه وحده) فلا يزيد المقياس عن هذا الحد في المسافة واليوم الأرضي المعلوم للعرب المخاطبين لا يصلح أن يساوي ألف سنة من سنيهم إلا في المسافة والمسافة التي تقطع في يوم محدودة وإن قطعت بأعلى سرعة فهى لا تزيد عن ألف سنة من سنيهم المبنية على حركة القمر حول الأرض بالنظر المجرد والتعبير (مِمَّا تَعْدُونَ) وصف عائد على الألف سنة المتضمنة لحركة جسم نسبية يتعدد وصفها ويعوزها التحديد فعاد سياقاً على الحركة والسياق يتعلق بقياس حركة أمر ما يملأ الكون بين الأجرام (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) و بيان أن حركته بانحناء كحركة الأعرج في مشيته وهو وصف يتفق مع المعلوم اليوم بحركة القوى الفيزيائية في الفضاء بين الأجرام بانحناء نتيجة لتأثير الأجرام.  
\*قيمة مطابقة لسرعة الضوء:



لتعيين النسبة الثابتة Basic Ratio من السرعة الوسطية المطلوبة للقياس على المدار القمري والتي لا تخضع لتغير يمكن عند أي نقطة على مدار ناقص الاستدارة Ellipse تحليل السرعة المدارية Orbital Velocity إلى مركبتين متعامدتين إحداها عمودية على القطر وتسمى السرعة الزاوية Angular Speed وقيمتها ثابتة في كل النقاط على المدار والثانية تسمى السرعة القطرية Radial speed وتختلف قيمتها من نقطة لأخرى وهى المسئولة عن نسبة التغير (Zeilik and Smith Introductory Astronomy and Astrophysics 1987 p17)

والسرعة الثابتة القيمة تسمى أيضا السرعة المماسية Tangential Velocity لأنها المسئولة عن الحركة الأمامية و في حالة القمر تكافئ نسبتها تماما نسبة مركبة السرعة الوسطية في الاتجاه الأصلي بعد دورة: 0.8915725423 (حوالي 0.89) ولذا نسبة التغير في سرعة القمر حوالي 0.11 (Encyclopedia Britannica).



ويسمى اليوم الأرضي بالنسبة للنجوم باليوم النجمي Sidereal day وطوله 86164.09966 ثانية ويسمى الشهر بالنسبة للنجوم بالشهر النجمي وطوله 27.32166088 يوما و قيمة السرعة الوسطية للقمر حوالي 1.023 كم\ثانية (Laros Astronomy p.142) والقيمة 1.022794272 (حوالي 1.023) كم\ثانية تجعل قيمة المسافة التي يقطعها القمر حول الأرض في دورة في النظام المعزول: 2.152612269 مليون كم وتجعل المسافة المقطوعة في 12000 دورة: 25.831347230 بليون كم وبالتالي تكون قيمة السرعة القصوى (مسافة 12000 مدار\يوم): - 299792.458 كم\ثانية وهى نفس القيمة في الفيزياء (موسوعة أكسفورد ص316).

السرعة الكونية الحدية القصوى = مسافة ألف سنة قمرية\يوم (في النظام الأرض قمري المعزول) = 25.831347230 بليون كم\ثانية = 86164.09966 ثانية = 299792.458 كم\ثانية.

\*وتُقاس الأبعاد فلكيا بوحدة الزمن المناسبة وأقصى سرعة فنقول يبعد القمر حوالي ثانية ضوئية وتبعد الشمس ثمان دقائق ويبعد أقرب نجم 4.3 سنة فإذا كانت القيمة (ألف سنة في يوم) تعبيراً عن أقصى سرعة تكون القيمة (خَمْسِينَ) في السياق تعدادا لأقصى وحدة زمن وأكبر وحدة زمن فلكيا هى سنة الشمس وهى مدة دورتها حول مركز المجرة وقيمتها حوالي 250 مليون سنة و لكى يقطع شعاع من الضوء المسافة إلى طرف الكون الممكن الرصد يحتاج إلى عمر الكون والعجيب أن القيمة (خَمْسِينَ) في مقام بيان أكبر وحدة زمن في عالمنا لقياس أكبر مسافة ممكنة الرصد بأقصى سرعة في الكون وهى (ألف سنة في يوم) تحقق تماما نفس القيمة المعلومة الآن لعمر الكون حتى الآن (250 × 50 مليون) وهى حوالي: 12.5 (10-15) بليون سنة

يُبْصَرُونَهُمْ<sup>١١</sup> يَوْمَ يُفْتَدَى مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بَيْنِيهِ<sup>١٢</sup> وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ<sup>١٣</sup> وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ<sup>١٤</sup> وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ<sup>١٥</sup> كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى<sup>١٦</sup> نَزَاعَةً لِلشَّوَى<sup>١٧</sup> تَدْعُوا مِنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى<sup>١٨</sup> وَجَمَعَ فَأَوْعَى<sup>١٩</sup> إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا<sup>٢٠</sup> إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا<sup>٢١</sup> وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا<sup>٢٢</sup> إِلَّا الْمُصَلِّينَ<sup>٢٣</sup> الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ<sup>٢٤</sup> وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ<sup>٢٥</sup> لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ<sup>٢٦</sup> وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ<sup>٢٧</sup> وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ<sup>٢٨</sup> إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ<sup>٢٩</sup> وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَافِظُونَ<sup>٣٠</sup> إِلَّا عَلَى أَرْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ<sup>٣١</sup> فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ<sup>٣٢</sup> وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ<sup>٣٣</sup> وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ<sup>٣٤</sup> وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ<sup>٣٥</sup> أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ<sup>٣٦</sup> فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ<sup>٣٧</sup> عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ<sup>٣٨</sup> أَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ<sup>٣٩</sup> كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ<sup>٤٠</sup>

(يُبْصَرُونَهُمْ) يرونهم و يعرفونهم (يَوْمَ يُفْتَدَى مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بَيْنِيهِ) 11 الذي حق عليه العذاب

(وَصَحْبَتِهِ) زوجته (وَأَخِيهِ) ١٢ قرابته- عشيرته التي تضمه و ينتمى إليها في القرابة

(الَّتِي تُتَوَكَّلُ) التي جرت عاداتها في الدنيا أن تتناصر و يعين بعضها بعضا ففي يوم القيامة لا ينفع أحد أحدا

(وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ) بل لو يفتدى المجرم المستحق للعذاب بجميع ما فى الأرض ثم ينجيه لم ينفعه

(كَلَّا) لا حيلة لهم قد حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون و ذهب نفع الاقارب و الأصدقاء.

(لَأَنهَا لَأَطْلَى) إنها جهنم تتلظى نارها و تلتهب 15

(نَزَاعَةً لِلشَّوَى) تنزع بشدة حرها جلدة الرأس و سائر أطراف البدن من شدة عذابها 16

(تَدْعُوا) إليها تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها و قَدَّرَ لَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ عَمَلَهَا فَتَدْعُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِسَانٍ طَلَقَ ذَلِكِ ثُمَّ تَلْتَقِطُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ.

(مَنْ أَدْبَرَ) عن اتباع الحق بقلبه (وَتَوَلَّى) ترك العمل بجوارحه 17

(وَجَمَعَ) الأموال بعضها فوق بعض

(فَأَوْعَى) فوضعه في خزانته و لم يؤدّ حق الله فيه من الواجب عليه في النفقات و من إخراج الزكاة 18

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) أشد الحرص و أسوأ الجزع و أفحشه-طبيعته الأصلية أنه هلوع 19

صفة الهلوع أنه (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) لا يستعمل في ذلك الصبر و الرضا بما قضى الله إن أصابه مكروه 20

طبيعة الانسان 19-21

(وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)

\*أبي داود-2511 سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحُّ هَالِعٍ وَ جُبْنٌ خَالِعٌ فلا ينفق مما آتاه الله و لا يشكر الله على نعمه و بره فيجزع في الضراء و يمنع في السراء 21

(إِلَّا الْمُصَلِّينَ) الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله و أنفقوا مما خولهم الله

صفات المؤمنين 22-35

و إذا مسهم الشر صبروا و احتسبوا 22

و قوله في وصفهم (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) مداومون عليها في أوقاتها بشروطها و مكملاتها. و ليسوا كمن لا يفعلها أو يفعلها وقتا دون وقت أو يفعلها على وجه ناقص.

كقوله {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ 1 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون] 23

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ) من زكاة و صدقة 24

(لِلسَّائِلِ) الذي يتعرض للسؤال (وَالْمَعْرُومِ) الذي لا يسأل الناس فيعطوه و لا يفتن له فيتصدق عليه 25

(وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ) يؤمنون (بِیَوْمِ الدِّينِ) بما أخبر الله به و أخبرت به رسله من الجزاء و البعث و يتيقنون ذلك فيستعدون للآخرة و يسعون لها سعيها و التصديق بيوم الدين يلزم منه التصديق بالرسول و بما جاءوا به من الكتب 26

(وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) خائفون وجلون فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله 27

(إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) لا ينبغي أن يأمنه أحد 28

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) فلا يطأون بها وطأ محرما من زنى أو لواط أو وطء في دبر أو حيض و نحوه و يحفظونها أيضا من النظر إليها و مسها ممن لا يجوز له ذلك و يتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة 29

(إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) سرياتهم

(فَأَنبَأَهُمُ غَيْرُ مَلُومِينَ) مؤاخذين في وطنهن في المحل الذي هو محل الحرث **30**

(فَمَنْ أَبْغَى وَرَثَةَ ذَلِكَ) غير الزوجة و ملك اليمين

(فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون ما أحل الله إلى ما حرم الله

و دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة لكونها غير زوجة مقصودة و لا ملك يمين.

\* قَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَ مَنْ وَافَقَهُ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِسْتِمْنَاءِ بِالْيَدِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ **31**

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ) مراعون لها حافظون مجتهدون على أدائها و الوفاء بها

و هذا شامل لجميع الأمانات

1- **التي بين العبد و بين ربه** كالتكاليف السرية التي لا يطلع عليها إلا الله

2- **و الأمانات التي بين العبد و بين الخلق** ففى الأموال و الأسرار

(وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ) شامل للعهد : 1- **الذي عاهد عليه الله** 2- **و العهد الذي عاهد عليه الخلق** **32**

(وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ) لا يشهدون إلا بما يعلمونه من غير زيادة و لا نقص و لا كتمان و لا يحابى فيها

قريبا و لا صديقا و نحوه و يكون القصد بها وجه الله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى

بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء: 135] **33**

صفات الكافرين و جزاؤهم 36-44

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) بمداومتها على أكمل وجوها **34**

(أُولَئِكَ) الموصوفون بتلك الصفات (فِي جَنَّتٍ مُّكْرَمُونَ) فيها بكل أنواع التكريم **35**

يقول تعالى مبينا اغترار الكافرين: (فَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ) مسرعين **36**

(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) قطعاً متفرقة و جماعات متوزعة كل منهم بما لديه فرح.

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ: فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ مُتَّفِقُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ **37**

(أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) بأى سبب أطمعهم و هم لم يقدموا سوى الكفر والجحود **38**

و لهذا قال: (كَلَّا) ليس الأمر بأمانيتهم و لا إدراك ما يشتهون بقوتهم.

(إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ)

من ماء دافق فهم ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا **39**

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ تَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾

فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصُوبِ مَوْضِعٍ ﴿٤٣﴾

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلِكَ يَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

71-سورة نوح-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ

﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى

إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ ۚ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ

إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ۚ أَصْبَعُهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ وَأَسْتَفْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا

وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

(فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ)

هذا إقسام منه تعالى بالمشارق و المغرب للشمس و القمر و الكواكب لما فيها من الآيات الباهرات على

البعث و قدرته 40

(عَلَى أَنْ تَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ) على تبديل أمثالهم و هم بأعيانهم

(وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ)

ما أحد يسبقنا و يفوتنا و يعجزنا إذا أردنا أن نعيده (ليس معناها أنه لن يسبقنا أحد في تبديلهم

كقوله) (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) العنكبوت 40

(فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا) يخوضوا بالأقوال الباطلة و العقائد الفاسدة

(وَيَلْعَبُوا) بدينهم و يأكلوا و يشربوا و يتمتعوا

(حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)

فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال و الوبال ما هو عاقبة خوضهم و لعبهم 42

ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم الذي يوعدون فقال:

(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (سَرَّاعًا) مجيبين لدعوة الداعي مهطعين إليها

(كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ) علم (يُوفُضُونَ) يؤمنون و يسرعون-يأتون أذلاء مقهورين للقيام بين يدي رب العالمين.  
\*كَانَتْهُمْ فِي إِسْرَاعِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَهْرَوُلُونَ إِلَى النَّصْبِ إِذَا عَايَنُوهُ يُوفُضُونَ يَبْتَدِرُونَ  
أَيُّهُمْ يَسْتَلِمُهُ أَوَّلُ 43

(خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ) خاضعة

(تَرَهَقُهُمْ) تغشاهم

(ذَلَّةً) حقارة و مهانة

و ذلك أن الذلة و القلق قد ملك قلوبهم و استولى على أفئدتهم فخشعت منهم الأبصار و سكنت منهم الحركات و انقطعت الأصوات فهذه الحال و المآل هو يومهم

(ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) لابد من الوفاء بوعد الله 44

### 71-تفسير سورة نوح الطه -مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

ارسل نوح الى قومه 1-4

( 1 - 28 ) إلى آخر السورة.

لم يذكر الله في هذه السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه و تكرار دعوته إلى التوحيد و نهيهِ عن الشرك

فأخبر تعالى أنه أرسله إلى قومه رحمة بهم و إنذارا لهم من عذاب الله الأليم خوفا من استمرارهم على كفرهم فيهلكهم الله هلاكا أبديا و يعذبهم عذابا سريديا فامتثل نوح عليه السلام لذلك و ابتدر لأمر الله فقال:-

(قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

واضح النذارة بينها و ذلك لتوضيحه ما أنذر به و ما أنذر عنه و بأى شيء تحصل النجاة بين جميع ذلك بيانا شافيا فأخبرهم و أمرهم بزيادة ما يأمرهم به

(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا)

ذلك بإفراده تعالى بالتوحيد و العبادة و البعد عن الشرك و طرقه و وسائله 1

(يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ)

فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم و إذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب و الفوز بالشواب

(وَيُؤَخِّرَكُمْ)



يتمتعكم في هذه الدار و يدفع عنكم الهلاك

(إِنَّ أَجَلَ مُسَمَّى)

مقدر البقاء في الدنيا بقضاء الله و قدره إلى وقت محدود  
و قَدْ يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الطَّاعَةَ وَالْبِرَّ وَصِلَةَ الرَّحِمِ يُزَادُ بِهَا فِي الْعُمُرِ حَقِيقَةً  
كَمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»  
و لهذا قال: (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُونَ تَعْلَمُونَ) 4

لما كفرتم بالله و عاندتم الحق فلم يجيبوا لدعوته و لا انقادوا لأمره فقال شاكيا لربه:-

شكوى نوح من قومه 5-28

(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا) 5

(فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا)

نفورا عن الحق و إعراضا فلم يبق لذلك فائدة لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه 6

(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ)

لأجل أن يستجيبوا فإذا استجابوا غفرت لهم فكان هذا محض مصلحتهم و لكنهم أبوا إلا تماديا على  
باطلهم و نفورا عن الحق

(جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِيْءَاذَانِهِمْ) حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام

(وَأَسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ) تغطوا بها غطاء يغشاهم بعدا عن الحق و بغضا له

(وَأَصْرُوا) استمروا على كفرهم و شرهم

(وَأَسْتَكْبَرُوا) استنكفوا عن اتباع الحق

(أَسْتَكْبَرُوا) فشرهم ازداد و خيرهم بعد

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: 26] 7

(ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) بمسمع منهم كلهم-جهره بين الناس 8

(ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ) ظاهرا بصوت عال

(وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا) فيما بيني و بينهم كل هذا حرص و نصح لهم يهتدون 9

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب و استغفروا الله منها.

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ (١) نوح: ١٠.

هذه امرأة لم يرزقها الله ذرية، مرّت على ما استطاعت الوصول إليه من الأدوية الطبية والشعبية بلا فائدة، وكان زوجها ذات يوم يتحدث مع إمام المسجد فقال له: لم لا تقرأ سورة نوح بحضور قلب، وتستغفر ما استطعت من الاستغفار؟ قالت: فجاء زوجي وأخبرني بذلك، ثم قال: ما رأيك أن ننفذ هذه الوصية؟ فرحبتُ بما قاله، وقرأنا سورة نوح بتدبر، وفيها قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١٢)، وأكثرنا الاستغفار والدعاء بإلحاح، وما هي إلا أشهرٌ حتى بدأتُ أشعر بأعراض الحمل، وذهبتُ إلى الطيبة وكانت النتيجة أني حامل.

(إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا)

كثير المغفرة لمن تاب و استغفر فرغبهم بمغفرة الذنوب و ما يترتب عليها من حصول الثواب و اندفاع

العقاب 10

.....

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾  
 مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾  
 وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾  
 ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾  
 قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾  
 وَقَالُوا لَا تَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِثَمٌ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَذَرُنَا وَلَا تَنْدُرُنَا وَلَا تَرْكُنَا ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿٢٥﴾  
 وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٦﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلْنَا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٧﴾  
 وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٨﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ  
 وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٩﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا  
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٣٠﴾

و رغبهم أيضا بخير الدنيا العاجل فقال:-

(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) مطرا متتابعاً يروى الشباب و الوهاد و يحيى البلاد و العباد 11

(وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) يكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا و أولادكم

(وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) و هذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا و مطالبها 12

ثم عدل بهم الي دعوتهم بالترهيب

(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) لا تخافون لله عظمة و ليس الله عندكم قدر.

(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) خلقا من بعد خلق فى بطن الأم ثم فى الرضاع ثم فى سن الطفولية ثم التمييز ثم الشباب

إلى آخر ما وصل إليه الخلق

{ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا} [المؤمنون: 14]

-فالذي انفرد بالخلق و التدبير البديع متعين أن يُفرد بالعبادة و التوحيد

و فى ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على الإقرار بالمعاد و أن الذى أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد

موتهم 14

و استدل أيضا عليهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس فقال:-

(الَّذِينَ تَرَوْنَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا) كل سماء فوق الأخرى 15

(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) لأهل الأرض مصدر غير مباشر (يستمد ضوءه من الشمس)

(وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) مصدر مباشر للضوء (ضياء-سراج وهاج)

– ففيه تنبيه على عظم خلق هذه الأشياء وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه – فالعظيم الرحيم يستحق أن يعظم و يحب و يعبد و يخاف و يرجى .

كقوله {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [يونس: 5]

الاعجاز في (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) الرابط

فقد فرق الله سبحانه في الآية الكريمة بين أشعة الشمس والقمر فقال:-

(هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً) [يونس: 5]

فسمى أشعة الشمس ضياءً وسمى القمر نوراً و المشكلة أن أكثر القواميس غير العربية (الإنجليزية و الفرنسية و الألمانية) لا تفرق بين الضياء و النور و بناءً على ذلك ظن الكثيرون أنهما بمعنى واحد حيث درسوا العلوم الحديثة بهذه اللغات و الواقع أنهما غير متحدين كما أثبت ذلك بعض العاملين في الإعجاز العلمي فقال: (دعنا نستعرض بعض الآيات الأخرى التي تذكر أشعة الشمس والقمر فلنأخذ مثلاً: الآيتين: (وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) [نوح: 16] و (وجعلنا سراجاً وهجاً) [النبا: 12-13])

نجد أن الله سبحانه وتعالى سمى الشمس مرة بالسراج وأخرى بالسراج الوهاج والسراج هو المصباح الذي يضيء بالزيت أو الكهرباء.

أما أشعة القمر فقد أعاد الخالق تسميتها بالنور

وإذا نحن تذكرنا في هذا الصدد معلوماتنا في الفيزياء المدرسية لوجدنا أن مصادر الضوء تنقسم عادة إلى نوعين:-

1- مصادر مباشرة: كالشمس و النجوم و المصباح و الشمعة و غيرها

2- و مصادر غير مباشرة: كالقمر و الكوكب.

و الأخيرة هي الأجسام التي تستمد نورها من مصدر آخر مثل الشمس ثم تعكسه علينا.

\* أما الشمس و المصباح فهما يشتركان في خاصية واحدة وهى أنهما يعتبران مصدراً مباشراً للضوء و لذلك شبه الخالق الشمس بالمصباح الوهاج و لم يشبه القمر في أى من الآيات بمصباح. كذلك سمي ما تصدره الشمس من أشعة ضوءاً.

أما القمر فلا يشترك معهما في هذه الصفة فالقمر مصدر غير مباشر للضوء فهو يعكس ضوء الشمس إلينا فنراه و نرى أشعته التي سماها العليم الحكيم: نوراً.

ومن العجيب حقاً أننا لم نستوعب هذه الدقة الإلهية في التفرقة بين ضوء الشمس و نور القمر فكان المفروض أن نفرق بين الضوء والنور ونسمى الأشعة التي تأتي من مصدر ضوئي مباشر بالضوء

وتلك التي تأتي من مصدر ضوئي غير مباشر بالنور و لكننا خلطنا لغوياً بين الضوء و النور و اقتصرنا في العلوم على استخدام كلمة الضوء ونسينا مرادفها و هو: النور

و السبب واضح ففي الإنجليزية و الفرنسية بل و الألمانية وهى اللغات التي جاءت عن طريقها العلوم الحديثة – لا يوجد إلا مرادف واحد- و لم يخطر ببالنا أو ببال المترجمين (light-lumiere-licht) لهذا المعنى وهو بالترتيب أن اللغة العربية أغنى منهم وأدق ففيها مرادفين لهذه الكلمة يجب أن نفرق بينهما تبعاً لنوعية مصدر الضوء سواء

أكان مباشراً أو (غير مباشر) 16

**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** حين خلق أباكم آدم و أنتم في صلبه 17

**(ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا)** في الأرض بعد الموت

**(وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا)** للبعث و النشور فهو الذي يملك الحياة و الموت و النشور 18

**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا** مبسوبة مهياة للانتفاع بها 19

**(لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)** لتسلكوا فيها طرقاً واسعة.

فلولا أنه بسطها لما أمكن ذلك بل و لا أمكنهم حرثها و غرسها و زرعها و البناء و السكون على ظهرها.  
و كُلُّ هَذَا مِمَّا يُبَبِّهُهُمْ بِهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَ عَظَمَتِهِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ  
فِيمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْمَنَافِعِ السَّمَاوِيَّةِ وَ الْأَرْضِيَّةِ فَهُوَ الْخَالِقُ الرَّزَّاقُ جَعَلَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ الْأَرْضَ مِهَادًا  
وَ أَوْسَعَ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ رِزْقِهِ فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ وَ يُوحَّدَ وَ لَا يُشْرَكَ بِهِ أَحَدٌ لِأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ  
وَ لَا عَدِيلَ لَهُ وَ لَا نِدَّ وَ لَا مُهْءَ وَ لَا صَاحِبَةَ وَ لَا وَلَدَ وَ لَا وَزِيرَ وَ لَا مُشِيرَ بَلْ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ 20

**(قَالَ نُوحٌ)** شاكيا لربه: إن هذا الكلام و الوعظ و التذكير ما نجع فيهم و لا أفاد.

**(رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَاتَّبَعُوا)**

عصوا الرسول الناصح الدال على الخير و اتبعوا المأ و الأشراف الذين لم تزدهم أموالهم و لا أولادهم

**(مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا)** هالكا و تفويتا للأرباح فكيف بمن انقاد لهم و أطاعهم؟!

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَنْهَى إِلَيْهِ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ أَنَّهُ مَعَ الْبَيَانِ  
الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ وَ الدَّعْوَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُتَشَمِّلَةِ عَلَى التَّرْغِيبِ تَارَةً وَ التَّرْهِيْبِ أُخْرَى:-  
أَنَّهُمْ عَصَوْهُ وَ كَذَّبُوهُ وَ خَالَفُوهُ وَ اتَّبَعُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا مِمَّنْ غَفَلَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ مُتَّعَ بِمَالٍ وَ أَوْلَادٍ وَ هِيَ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ اسْتِدْرَاجٌ وَ إِنْظَارٌ لَا إِكْرَامَ وَ لِهَذَا قَالَ: {وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا} 21

**(وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا)** مكرا كبيرا بليغا في معاندة الحق 22

**(وَقَالُوا)** لهم داعين إلى الشرك مزينين له:-

**(لَا تَذَرْنَا إِلَٰهَتَكُمْ)** فدعوهم إلى التعصب على ما هم عليه من الشرك و أن لا يدعوا ما عليه آباؤهم الأقدمون  
ثم عينوا آلهم فقالوا:

**(وَلَا تَذَرْنَا وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)**

و هذه أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم لينشطوا - بزعمهم - على  
الطاعة إذا رأوها ثم طال الأمد و جاء غير أولئك فقال لهم الشيطان:-



إن أسلافكم يعبدونهم و يتوسلون بهم و بهم يسقون المطر فعبدوهم  
و لهذا أوصى رؤسائهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة .

**(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا)** قد أضل الكبار و الرؤساء بدعوتهم كثيرا من الخلق الى عبادة الأصنام  
فلقد استمر الناس في عبادتها عبر القرون إلى زماننا هذا في العرب و العجم و سائر صنوف برى آدم  
و قد قال الخليل عليه السلام في دعائه:-

{وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} [إبراهيم: 35 36]

**(وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا)**

لو كان ضلالهم عند دعوى إياهم بحق لكان مصلحة و لكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إلا ضلالا  
فلم يبق محل لنجاحهم و لا لصالحهم **24**

و لهذا ذكر الله عذابهم و عقوبتهم الدنيوية و الأخروية فقال:-

**(مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ)** من كثرة ذنوبهم و عتوهم و إصرارهم على كفرهم و مخالفتهم رسولهم

**(أَغْرَقُوا)** في اليم الذي أحاط بهم

**(فَادْخَلُوا نَارًا)** نُقِلُوا مِنْ تَيَّارِ الْبَحَارِ إِلَى حَرَارَةِ النَّارِ

-فذهبت أجسادهم في الغرق و أرواحهم للنار و الحرق و هذا كله بسبب خطيئاتهم التي أتاهم نبيهم نوح  
ينذرهم عنها و يخبرهم بشؤمها و مغبتها فرفضوا ما قال حتى حل بهم النكال

**(فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا)** ينصرونهم حين نزل بهم الأمر و لا أحد يقدر يعارض القضاء و القدر.  
لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعِينٌ وَ لَا مُغِيثٌ وَ لَا مُجِيرٌ يُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ هَوَاهُ:

{قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ} [هود: 43] **25**

**(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)** يدور على وجه الأرض

فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن  
أبيه و قال {سَآوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِفُ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ  
الْمُغْرَقِينَ} [هود: 43]

و ذكر السبب في ذلك فقال: **(إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ)** بقاؤهم مفسدة محضة لهم و لغيرهم

**(وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا)** في الأعمال

**(كَفَّارًا)** كافر القلب

\*و إنما قال نوح - ﷺ - ذلك لأنه مع كثرة مخالطته إياهم و مزاولته لأخلاقهم و لِحَبْرَتِهِ بِهِمْ وَ مُجْهِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا علم بذلك نتيجة أعمالهم لا جرم أن الله استجاب دعوته فأغرقهم أجمعين و نجي نوحا و من معه من المؤمنين. 27

**(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا)**

خص المذكورين لتأكد حقهم و تقديم برهم ثم عمم الدعاء فقال:-

**(وَاللْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)**

دُعَاءُ لَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ ذَلِكَ يَعْمُ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَ الْأَمْوَاتِ وَ لِهَذَا يُسْتَحَبُّ مِثْلُ هَذَا الدُّعَاءِ اقْتِدَاءً بِنُوحِ ﷺ وَ مِمَّا جَاءَ فِي الْأَثَارِ وَ الْأَدْعِيَةِ الْمَشْهُورَةِ الْمَشْرُوعَةِ.

**(وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)** خسارا و دمارا و هلاكاً 28

## 72- سورة الجن- مكية- بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعْ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعِجَزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

\*الصحيح المسند لأسباب النزول- البخاري -773 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَ قَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَ أُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا: مَا حَالُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَّثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا: هَذَا وَ اللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهَذَا لِكَيْ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَ قَالُوا: يَا قَوْمَنَا:

{إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا\* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ\* فَأَمَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: 2]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} [الجن: 1] وَ إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ "

(قُلْ) يا أيها الرسول للناس (أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ)

إيمان الجن بالقرآن و انواعهم و عقائدهم 17-1

صرفهم الله إلى رسوله لسماع آياته:- لتقوم عليهم الحجة و تتم عليهم النعمة

و يكونوا نذرا لقومهم. و أمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس و ذلك أنهم لما حضروه

{قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: 29]

فلما أنصتوا فهموا معانيه و وصلت حقائقه إلى قلوبهم

(فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) من العجائب الغالية و المطالب العالية 1

(يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)

و الرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم و دنياهم

(فَتَأْمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)

-فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير و بين التقوى المتضمنة لترك الشر  
-و جعلوا السبب الداعى لهم إلى الإيمان و توابعه ما علموه من إرشادات القرآن و ما اشتمل عليه من  
المصالح و الفوائد و اجتناب المضار  
فإن ذلك آية عظيمة و حجة قاطعة لمن استنار به و اهتدى بهديه و هذا الإيمان النافع المثمر لكل خير  
المبني على هداية القرآن بخلاف إيمان العوائد و المربى و الإلف و نحو ذلك  
فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات و العوارض الكثيرة 2

(وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ) —ت(جَدُّ) عظمة (رَبِّنَا) و تقدست أسماؤه

فعلموا من جد الله و عظمته ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولدا لأن له العظمة و الكمال فى  
كل صفة كمال

(مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) و اتخاذ صاحبة و الولد ينافى ذلك لأنه يضاد كمال الغنى 3

(وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) ابليس او كل من زعم ان لله صاحبة أو ولدا

(عَلَىٰ اللَّهِ شَطَطًا) قولاً جائراً عن الصواب متعدياً للحد 4

و ما حملة على ذلك إلا سفهه و ضعف عقله و إلا فلو كان رزينا مطمئنا لعرف كيف يقول.

(وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)

كنا مغترين قبل ذلك و غرنا القادة و الرؤساء من الجن و الإنس فأحسننا بهم الظن و ظنناهم لا يتجرءون  
على الكذب على الله فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم فاليوم إذ بان لنا الحق رجعنا إليه و انقصدنا له  
و لم نبال بقول أحد من الناس يعارض الهدى 5

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ)

كان الإنس يعبدون الجن و يستعيذون بهم عند المخاوف و الأفزاع

(فَزَادُوهُمْ) فزاد الإنس الجن (رَهَقًا) طغيانا و تكبرا لما رأوا الإنس يعبدونهم و يستعيذون بهم -

و يحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو أى:-

زاد الجن الإنس ذعرا و تخويفا لما رأوهم يستعيذون بهم ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم فكان الإنسى إذا نزل

بواد مخوف قال:- « أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه » 6

(وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ) فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك و الطغيان.

(أَنْ لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ رَسُولًا 7

(وَأَنَا لَمَسْنَا) أتينا و اختبرنا-تحققنا - طلبنا خبر(السَّمَاءِ) (ليس معناها أنهم لمسوا السماء حقيقة)

(فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا) عن الوصول إلى أرجائها و الدنو منها (وَشُهْبًا)

يرمى بها من استرق السمع و هذا بخلاف عادتنا الأولى فإننا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء 8

(وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ) فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله.

(فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) مرصدا له معدا لإتلافه و إحراقه

أي: و هذا له شأن عظيم و نبأ جسيم و جزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثا كبيرا 9

من خير أو شر فلهذا قالوا: (وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)

أي: لا بد من هذا أو هذا لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرا أنكروه فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريد به الله و يحدثه في الأرض و في هذا بيان لأدبهم إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى والشر حذفوا فاعله تأدبا مع الله. \* وَ هَذَا مِنْ أَدَبِهِمْ فِي الْعِبَارَةِ حَيْثُ أَسْنَدُوا الشَّرَّ إِلَى غَيْرِ فَاعِلٍ وَ الْخَيْرَ أَصَافُوهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

\* وَقَدْ وَرَدَ فِي مُسْلِمَ 771:- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَ الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ 10

(وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ) فساق و فجار و كفار

(كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا) فرقا متنوعة و أهواء متفرقة كل حزب بما لديهم فرحون 11

(وَأَنَا ظَنَنَّا) ففى وقتنا الآن تبين لنا

(أَنْ لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ) كمال قدرة الله و كمال عجزنا و أن نواصينا بيد الله فلن نعجزه في الأرض

(وَلَنْ نُعْجزَهُ هَرَبًا) إن هربنا و سعيينا بأسباب الفرار و الخروج عن قدرته لا ملجأ منه إلا إليه 12

(وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى) يَفْتَخِرُونَ بِذَلِكَ وَ هُوَ مَفْخَرٌ لَهُمْ وَ شَرَفٌ رَفِيعٌ وَ صِفَةٌ حَسَنَةٌ.

و هو القرآن الكريم الهادى إلى الصراط المستقيم و عرفنا هدايته و إرشاده أثر في قلوبنا

ف— (ءَامَنَّا بِهِ) ثم ذكروا ما يرغب المؤمن فقالوا:

(فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا) لا نقصا (وَلَا رَهَقًا) طغيانا و لا أذى يلحقه

و إذا سلم من الشر حصل له الخير فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير و انتفاء كل شر.

كقوله {فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} [طه: 112] 13

وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾  
وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾  
لَتَفْنِينَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾  
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾  
قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾  
إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾  
حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أضعفُ ناصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ  
مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾  
إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾  
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

(وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم.

(فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) أصابوا طريق الرشd الموصل لهم إلى الجنة و نعيمها 14

(وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وَقُودًا تُسَعَّرُ بِهِمْ و ذلك جزاء على أعمالهم لا ظلم من الله لهم 15

فإنهم (وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) الطَّاعَة أو الاسلام أو احتمال آخر هو الضلالة

(لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا) هنيئًا مريئًا - كثيرًا وَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ سَعَة الرِّزْقِ. و لم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم و عدوانهم 16

(لَتَفْنِينَهُمْ) لنختبرهم (فِيهِ) و نمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب.

(وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) الذي هو كتابه فلم يتبعه و ينقد له بل غفل عنه و لهي

(يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) شديدا بليغا.

\*رُوي عن ابن عباس أن العذاب الصعد جبل في جهنم يكلفون صعوده و كلما وضعوا أيديهم عليه ذابت

و هو ضرب من أنواع العذاب في دار الشقاء 17

توجيهات من الله للنبي ﷺ 18-25

(وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) لا دعاء عبادة و لا دعاء مسألة

فإن المساجد التي هي أعظم محال العبادة مبنية على الإخلاص لله و الخضوع لعظمته و الاستكانة لعزته



\*كَانَتْ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَ بَيْعِهِمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُوحِّدُوهُ وَحْدَهُ 18

(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) يسأله و يتعبد له و يقرأ القرآن

(كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ) كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه

(لَبِدًا) متلبدين متراكمين حرصا على سماع ما جاء به من الهدى 19

(قُلْ) لهم يا أيها الرسول مبينا حقيقة ما تدعو إليه:-

(إِنَّمَا أَدْعُوا) أعبد (رَبِّي) وحده

(وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا) أوحده وحده لا شريك له و أخلع ما دونه من الأنداد و الأوثان 20

(قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) ضلالا (وَلَا رَشَدًا) هداية- فإنى عبد ليس لى من الأمر و لا من التصرف شىء 21

(قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ)

لا أحد أستجير به ينقذنى من عذاب الله و إذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق لا يملك ضرا و لا رشدا و لا يمنع نفسه من الله شيئا إن أراده بسوء فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى.

\*لَا يُجِيرُنِي مِنْهُ وَ يَخْلُصْنِي إِلَّا إِبْلَغِي الرِّسَالَةَ الَّتِي أَوْجَبَ آدَاءَهَا عَلَيَّ

كقوله {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: 67]

(وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ و منتصر 22

(إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ)

ليس لي مزية على الناس إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته و دعوة الخلق إلى الله و بهذا تقوم الحجة عليهم

(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا)

\* و هذا المراد به المعصية الكفرية كما قيدتها النصوص الآخر المحكمة.

\* و أما مجرد المعصية فإنه لا يوجب الخلود فى النار لدلالة آيات القرآن و الأحاديث و الاجماع 23

(حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا) إِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ (مَا يُوعَدُونَ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَيَعْلَمُونَ يَوْمَئِذٍ مَنْ أضعفُ ناصِرًا وَ أَقْلُ عَدَدًا هُمْ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُوحِّدُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَيُّ: بَلِ الْمُشْرِكِينَ لَا نَاصِرَ لَهُمْ بِالْكَلْبَةِ وَ هُمْ أَقْلُ عَدَدًا مِنْ جُنُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. أي: شاهدوه عيانا و جزموا أنه واقع بهم

(فَسَيَعْلَمُونَ) في ذلك الوقت حقيقة المعرفة

(مَنْ أضعفُ ناصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا) حين لا ينصرهم غيرهم و لا أنفسهم ينتصرون و إذ يحشرون فرادى كما خلقوا

(قُلْ) لهم إن سألوكم فقالوا (متى هذا الوعد) ؟

(إِنْ أَذْرَبْتَ أَقْرَبُ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) غاية طويلة فعلم ذلك عند الله.

لا يعلم الغيب الا الله 26-28

\*البخارى 50 قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ:- مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ 25

(عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) من الخلق بل انفرد بعلم الضمائر و الأسرار و الغيب 26

(إِلَّا مَن أَرْزَقْنِي مِن رَّسُولٍ) وَ هَذَا يَعْمُ الرُّسُولَ الْمَلَكِيَّ وَ الْبَشَرِيَّ.

أي: فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به و ذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم

فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلق و حفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على حقيقته من غير أن تتخطهم الشياطين و لا يزيدوا فيه أو ينقصوا

و لهذا قال :- (فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ) يرسل (مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ) من أمام الرسول

(وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) ملائكة يحفظونه من الجن لئلا يسترقوه و يهمسوا به إلى الكهنة

حتى انه إذا جاءه الوحي كان معه أربعة ملائكة يحمونه من الشياطين حتى لا يسمعو خبر السماء

فيبلغوه أولياءهم من الإنس فتكون فتنة في الناس 27

(لِيَعْلَمَ) أَهْلُ الشُّرْكِ أَوِ النَّبِيُّ ﷺ

(أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) بما جعله لهم من الأسباب

(وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) بما عندهم و ما أسروه و أعلنوه

(وَأَخَصَّ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) فلم يخفَ عليه منه شيء 28

## 73-سورة المزمل-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَتَأْتِيَ الْمُزْمَلُ ① قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ ③ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ⑤  
 إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑧  
 وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑩  
 وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑪ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑫  
 إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ⑬ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑭ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا  
 مَهِيلًا ⑮ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑯ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ  
 فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑰ فَكَيْفَ تَنْقُوتُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑱ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ  
 كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ⑲ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ⑳

\*الصحيح المسند لاسباب النزول-أبي داود 1305- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ قَالَ:

«لَمَّا نَزَلَتْ أَوَّلُ الْمُزْمَلِ كَانُوا يَقُومُونَ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى نَزَلَ آخِرُهَا وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا سَنَةٌ»

توجيهات إلهية للنبي ﷺ 10-1

(يَتَأْتِيَ الْمُزْمَلُ) المتغطى بشيابه كالمدر و هذا الوصف حصل من رسول الله ﷺ حين أكرمه الله برسالته و ابتدأه

بانزال وحيه بإرسال جبريل عليه السلام إليه فرأى أمرا لم ير مثله و لا يقدر على الثبات له إلا المرسلون

فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج حين رأى جبريل عليه السلام فأتى إلى أهله

فقال: « زملوني زملوني » و هو ترعد فرائصه ثم جاءه جبريل

فقال: « اقرأ » فقال: « ما أنا بقارئ » فغطه حتى بلغ منه الجهد

و هو يعالجه على القراءة فقرأ ﷺ ثم ألقى الله عليه الثبات و تابع عليه الوحي حتى بلغ مبلغا ما بلغه أحد من

المرسلين.

فسبحان الله ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته و نهايتها و لهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في

أول أمره.

1-فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به 2- ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه

3- ثم أمره بالصدع بأمره و إعلان دعوتهم إلى الله

فأمره هنا بأشرف العبادات و هى الصلاة و بآكد الأوقات و أفضلها و هو قيام الليل **1**

و من رحمته تعالى أنه لم يأمره بقيام الليل كله بل قال: (قُرْآنًا لَّيْلًا قَلِيلًا) **2**

ثم قدر ذلك فقال: (نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ) من النصف

(قَلِيلًا) بأن يكون الثلث و نحوه **3**

(أَوْزِدْ عَلَيْهِ) على النصف فيكون الثلثين و نحوها.

\*أَمْرُنَاكَ أَنْ تَقُومَ نِصْفَ اللَّيْلِ بِزِيَادَةٍ قَلِيلَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ قَلِيلٍ لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

(وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)

\*البخارى 5046 - سئل أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟

فقال: «كَانَتْ مَدًّا» ثُمَّ قَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: 1] يَمْدُ بِبِسْمِ اللَّهِ وَ يَمْدُ بِالرَّحْمَنِ وَ يَمْدُ بِالرَّحِيمِ

\*الترمذى 2914 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

يُقَالُ -يَعْرِى لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ -:افْرَأْ وَ ارْتَقِ وَ رَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا

\*صحيح ابن حبان - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ

فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر و التفكير و تحريك القلوب به و التبعد بآياته و التهيؤ التام له **4**

(إِنَّا سَنُلْقِي)نوحى (عَلَيْكَ)إليك

(قَوْلًا ثَقِيلًا)قرآنًا عظيمًا مشتملا على الأوامر و النواهي و الأحكام الشرعية.

هذا القرآن الثقيل العظيمة معانيه الجليلة أوصافه و ما كان بهذا الوصف حقيق أن يتهيا له ويرتل و يتفكر فيما يشتمل عليه.

\*البخارى حديث 2 - عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاطَةِ الْجَرَسِ (صوت الحديد إذا حرك وتطلق على كل صوت له طنين والمشبه هنا صوت الملك بالوحى)

وَ هُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَ قَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ (فهت و حفظت) مَا قَالَ

وَ أَحْيَانًا يَتِمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْي مَا يَقُولُ»

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ

فَيَفْصِمُ (يقلع) عَنْهُ وَ إِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ (يسيل من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم شبه الجبين بالعرق المفصود مبالغة من كثرة عرقه) عَرَقًا **5**

ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل فقال: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) الصلاة فيه بعد النوم

(هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا) أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن يتواطأ على القرآن القلب و اللسان و تقل الشواغل

و يفهم ما يقول و يستقيم له أمره و هذا بخلاف النهار فإنه لا يحصل به هذا المقصود

(وَأَقُومُوا) أبين (فِيْلًا) قولاً لفراغ القلب من مشاغل الدنيا 6

و لهذا قال: (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)

ترددا على حوائجك و معاشك يوجب اشتغال القلب و عدم تفرغه التفرغ التام 7

(وَأَذْكُرِ آتَمَ رَبِّكَ) شامل لأنواع الذكر كلها

(وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) انقطع إلى الله تعالى (بِتَبَتُّلًا)

فإن الانقطاع إلى الله و الإنابة إليه هو الانفصال بالقلب عن الخلائق و الاتصاف بمحبة الله و كل ما يقرب إليه و يدنى من رضاه.

\* يقال للعابد متبتل و منه الحديث: أحمد 24943 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ 8

(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)

و هذا اسم جنس يشمل المشارق و المغرب كلها فهو تعالى رب المشارق و المغرب و ما يكون فيها من الأنوار و ما هي مصلحة له من العالم العلوى و السفلى فهو رب كل شيء و خالقه و مدبره.

(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) لا معبود إلا وجهه الأعلى الذي يستحق أن يُخص بالمحبة و التعظيم و الإجلال و التكریم

و لهذا قال: (فَانْخِذْهُ وَكِيلًا) حافظا و مدبرا لأُمُورك كلها.

فلما أمره الله بالصلاة خصوصا و بالذكر عموما و ذلك يحصل للعبد ملكة قوية فى فعل الثقل من الأعمال

\* كما افردته بالعبادة فأفردته بالتوكل كقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: 123] 9

(وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ)

أمره بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له و يسبون و يسبون ما جاء به و أن يمضى على أمر الله لا يصدده عنه صاد و لا يردده راد

(وَأَهْجُرْهُمْ) و أن يهجرهم (هَجْرًا جَمِيلًا)

و هو الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذى لا أذية فيه :-

1- فيقابلهم بالهجر و الإعراض عنهم و عن أقوالهم التى تؤذيه

2- و أمره بجدالهم بالتي هي أحسن

3- ترك الانتقام منهم 10

تهديد المكذبين بيوم الدين 11-19

(وَذَرْنِي) اتركى (وَالْمُكَذِّبِينَ) فسأنتقم منهم و إن أمهلتهم فلا أهملهم

(أُولَى) أصحاب(الْغَنَمَةِ) و الغنى الذين طغوا حين وسع الله عليهم من رزقه

(وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا) و أمدهم من فضله

و مهلهم زمنًا قليلًا بتأخير العذاب عنهم حتى يبلغ الكتاب أجله بعذابهم حتى يهلكوا ببدر..

كقوله {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان: 24] 11

ثم توعدهم بما عنده من العقاب فقال:

(إِنَّ لَدَيْنَا) عندنا (أَنْكَالًا) عذابا شديدا جعلناه تنكيلا للذي لا يزال مستمرا على الذنوب-قيود

(وَحِجَابًا) نارا حامية 12

(وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ)

و ذلك لمرارته و بشاعته و كراهة طعمه و ريحه الخبيث المتن يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ.

(وَعَذَابًا أَلِيمًا) موجعا مفضعا 13

و ذلك (يَوْمَ تَرْجُفُ) تتزلزل من الهول العظيم (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ)

(وَكَانَتْ الْجِبَالُ) الراسيات الصم الصلاب

(كَيْبًا مَّهِيلًا) تلا من الرمل سائلا متناثرًا ثم إنها تبس بعد ذلك فتكون كالهباء المنثور 14

(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْهِمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا)

احمدوا ربكم على إرسال هذا النبي الأمى العربى البشير النذير الشاهد على الأمة بأعمالهم و اشكروه و قوموا بهذه النعمة الجليلة و إياكم أن تكفروها فتعصوا رسولكم فتكونوا كفرعون حين أرسل الله

إليه موسى بن عمران 15

(فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) فدعاه إلى الله و أمره بالتوحيد فلم يصدقه بل عصاه

(فَأَخَذَتْهُ أَخْذًا وَبِيلًا) فأخذه الله أخذا وبيلا شديدا بليغا كقوله {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ} [النازعات: 25] 16

(فَكَيْفَ تَتَّقُونَ)

كيف يحصل لكم أمانٌ (إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا) مِنْ يَوْمٍ هَذَا الْفَزَعِ الْعَظِيمِ

(يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) الذى يشيب الولدان و تذوب له الجمادات العظام مِنْ شِدَّةِ أَهْوَالِهِ وَ زَلَّازِلِهِ وَ بَلَابِلِهِ

و ذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ: ابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ. فَيَقُولُ مِنْ كَمْ؟

فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٌ وَ تِسْعَةٌ وَ تِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ وَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ.

مسند الشاميين للطبراني 2409 - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} [المزمل: 17]



ثُمَّ قَالَ: " ذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِآدَمَ: قُمْ فَابْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ فَقَالَ: مَنْ كَمْ يَا رَبِّ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ وَ يَنْجُو وَاحِدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَ عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَصَرَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِهِمْ:

إِنَّ بَنِي آدَمَ كَذَا وَ كَذَا وَ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَاْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَ إِنَّهُ لَا يَمُوتُ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَرِثَهُ لِصْلِيهِ أَلْفُ رَجُلٍ فَفِيهِمْ وَ فِي أَشْبَاهِهِمْ جُنَّةٌ لَكُمْ» **17**

(السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ) متصدعة في ذلك اليوم تنتشر

(يُذِئِدُ) نجومها لشدة هوله كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعًا لا محالة.

(كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا) لا بد من وقوعه و لا حائل دونه **18**

(إِنَّ) السُّورَةَ

(هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) <sup>ط</sup>

موعظة نبا الله بها من أحوال يوم القيامة و أهواله تذكرة يتذكر بها المتقون-

(فَمَنْ شَاءَ)

فمن أراد الاتعاظ و الانتفاع بها

(أَتَّخِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ) الطاعة و التقوى

(سَبِيلًا) طريقًا توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه و ربَّاه و ذلك باتباع شرعه

فإنه قد أبانه كل البيان و أوضحه غاية الإيضاح

و فهذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم و مكنهم منها

لا كما يقوله الجبرية:

إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم فإن هذا خلاف النقل و العقل **19**

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَبَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْهُ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَأَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ يَوْمَآخِرُونَ يُقَتِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْهُ مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا نَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

74-سورة المدثر-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَأْتِيهَا الْمَدْيِرُ ﴿١﴾ قُرْآنًا نَذِيرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِرُ ﴿٣﴾ وَبِابِكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

\*إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَسَخَتْ الَّتِي كَانَ اللَّهُ قَدْ أَوْجَبَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَوَّلًا مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ.

فضل قيام الليل

(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ)

ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه و الأصل أن أمته أسوة له في الأحكام و ذكر في هذا الموضع أنه امتثل ذلك هو و طائفة معه من المؤمنين. و لما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة على الناس أخبر أنه سهل عليهم في ذلك غاية التسهيل فقال:-

(وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)

يعلم مقاديرهما و ما يمضي منهما و يبقى -تَارَةً يَعْتَدِلَانِ وَ تَارَةً يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا أَوْ هَذَا مِنْ هَذَا

(عَلِمَ) الله (أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ) أنه لا يمكنكم قيام الليل كله لكون ذلك يستدعى انتباها و عناء زائدا

(فَبَابَ عَلَيْكُمْ) فخفف عنكم و أمركم بما تيسر عليكم سواء زاد على المقدر أو نقص

(فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ بِوَقْتٍ وَ لَكِنْ قُومُوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تيسَّرَ

\* وَ عَبَّرَ عَنِ الصَّلَاةِ بِالْقِرَاءَةِ كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ سُبْحَانَ:- {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ} أَيْ: بِقِرَاءَتِكَ {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}

\*\* و لهذا كان المصلي بالليل مأمورا بالصلاة ما دام نشيطا فإذا فتر أو كسل أو نعس فليستريح ليأتي الصلاة بطمأنينة و راحة.

\* البخاري 3270 - عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ قَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ "

\*ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف فقال:-

(عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضٌ) يشق عليهم صلاة ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه فليصل المريض المتسهل عليه و لا يكون أيضا مأمورا بالصلاة قائما عند مشقة ذلك بل لو شقت عليه الصلاة النافلة فله تركها و له أجر ما كان يعمل صحيحا .

(و) علم أن منكم (وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) مسافرين

(يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ)

يسافرون للتجارة لـ:- يستغنوا عن الخلق و يتكففوا عن الناس

أى: فالمسافر حاله تناسب التخفيف

و لهذا خفف عنه في صلاة الفرض فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد و قصر الصلاة الرباعية.

و كذلك (وَأَخْرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَشَرَّ مِنْهُ)

فذكر تعالى تخفيفي:

1- تخفيفا للصحيح المقيم يراعى فيه نشاطه من غير أن يكلف عليه تحرير الوقت

بل يتحرى الصلاة الفاضلة و هي ثلث الليل بعد نصفه الأول.

2- و تخفيفا للمريض أو المسافر سواء كان سفره للتجارة أو لعبادة من قتال أو جهاد أو حج أو عمرة

و نحو ذلك فإنه أيضا يراعى ما لا يكلف

ثم أمر العباد بعبادتين هما أم العبادات و عمادها:-

1- إقامة الصلاة التي لا يستقيم الدين إلا بها

2- و إيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان و بها تحصل المواساة للفقراء و المساكين

و لهذا قال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) بأركانها و شروطها و مكملاتها

(وَأَتُوا الزَّكَاةَ) المفروضة.

و هَذَا يَدُلُّ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ فَرَضَ الزَّكَاةِ نَزَلَ بِمَكَّةَ لَكِنَّ مَقَادِيرَ النُّصَبِ و الْمَخْرَجَ لَمْ تُبَيَّنْ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ.

(وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) خالصا لوجه الله من نية صادقة و تثبيت من النفس و مال طيب

كقوله (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: 245]

و يدخل في هذا الصدقة الواجبة و المستحبة

ثم حث على عموم الخير و أفعاله فقال: (وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا)

\*البخارى 6442 عَنْ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ (أكثر حرصا عليه)؟»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ (صرفه في حياته في مصارف الخير) وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ (ما ادخره حتى مات وتركه لوارثه)»  
\*الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

**(وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**

و في الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة و الخير فائدة كبيرة:-

و ذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به إما أن لا يفعله أصلاً أو يفعله على وجه ناقص

فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار فإن العبد يذنب ليل نهار فمتى لم يتغمده الله برحمته و مغفرته فإنه هالك **20**

### 74-تفسير سورة المدثر-مكية

\*الصحيح المسند لاسباب النزول-البخارى4924-عن يَحْيَى قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ رضي الله عنه: أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلُ؟

فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: 1] فَقُلْتُ: أَنْبِئْتُ أَنَّهُ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1]

فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أَنْزَلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: 1]

فَقُلْتُ: أَنْبِئْتُ أَنَّهُ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1] فَقَالَ: لَا أُخْبِرُكَ إِلَّا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ ﷺ

جَاوَزْتُ فِي حِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي هَبَطْتُ فَاسْتَبَطَنْتُ الْوَادِي (وصلت إلى بطنه وهو أخفض مكان فيه)

فَنُودِيتُ فَتَنْظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

فَأْتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا وَ أَنْزَلَ عَلَيَّ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ}

[المدثر: 2]

\*البخارى4926- عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ " فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ

فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 2] إِلَى قَوْلِهِ {فَاهْجُرْ} [المدثر: 5]-

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَ الرَّجَزُ الْأَوْتَانِ - ثُمَّ حَمَى الْوَحْيَ وَ تَتَابَعَ "

**توجيهات للنبي ﷺ 1-7**

**(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)** تقدم أن المزمّل و المدثر بمعنى واحد

و أن الله أمر رسوله ﷺ بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة و المتعدية فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة

القاصرة و الصبر على أذى قومه و أمره هنا بإعلان الدعوة و الصدع بالإنذار **1**

**(قُرْ)** بجد و نشاط

**(فَأَنْذِرْ)** الناس بالأقوال و الأفعال التي يحصل بها المقصود و بيان حال المنذر عنه ليكون ذلك أدعى لتركه **2**

**(وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ)** عظمه بالتوحيد و اجعل قصدك في إنذارك وجه الله و أن يعظمه العباد و يقوموا بعبادته **3**

**(وَيَذِيبُكَ فَطَهَّرَ)** يحتمل أن المراد بشيابه:-

## 1-أعماله كلها وبتطهيرها تخليصها و النصح بها و إيقاعها على أكمل الوجوه

و تنقيتها عن المبطلات و المفسدات و المنقصات من شر و رياء و نفاق و عجب و تكبر و غفلة و غير ذلك مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

\*و يدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة.

2-المراد بثيابه الثياب المعروفة و أنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات في جميع الأوقات خصوصا في الدخول في الصلوات و إذا كان مأمورا بتطهير الظاهر فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن 4

## (وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ) يحتتمل أن المراد بالرجز:-

1-الأصنام و الأوثان التي عبدت مع الله فأمره بتركها و البراءة منها و مما نسب إليها من قول أو عمل.

2-و يحتتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها و أقواله فيكون أمرا له بترك الذنوب صغيرها و كبيرها ظاهرها و باطنها فيدخل في ذلك الشرك و ما دونه 5

## (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ)

1- لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية و الدنيوية فتكثر بتلك المنة و ترى لك الفضل عليهم بإحسانك المنة بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك و انس عندهم إحسانك و لا تطلب أجره إلا من الله تعالى و اجعل من أحسنت إليه و غيره على حد سواء.

2-إن معنى هذا لا تعط أحدا شيئا و أنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه فيكون هذا خاصا بالنبى ﷺ 6

## (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)

احتسب بصبرك و اقصد به وجه الله تعالى فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه و بادر إليه فأنذر الناس و أوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية و عظم الله تعالى و دعا الخلق إلى تعظيمه و طهر أعماله الظاهرة و الباطنة من كل سوء و هجر كل ما يبعد عن الله من الأصنام و أهلها و الشر و أهله و له المنة على الناس - بعد منة الله- من غير أن يطلب منهم على ذلك جزاء و لا شكورا

و صبر لله أكمل صبر:- 1-فصبر على طاعة الله 2-و عن معاصي الله 3-و على أقدار الله المؤلمة 7

(فَإِذَا نُفِرَ) نفخ (فِي النُّافِرِ) الصور للقيام من القبور و جمع الخلق للبعث و النشور.

\*الترمذى 2431 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقُرْنُ وَ اسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ فَيَنْفَحُ»

فَكَانَ ذَلِكَ ثَقْلًا عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعَمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا " 8

(فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ) لكثرة أهواله و شدائده-غير سهل عليهم 9

(عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ يَسِيرٌ) لأنهم قد أيسوا من كل خير و أيقنوا بالهلاك و البوار.

و مفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير كما قال تعالى: {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ} [القمر: 8].

\*الصحيح الممسند لاسباب النزول البداية و النهاية ج3 ص60 قال إسحاق: عن ابن عباس

أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَانَتْ رَقٌّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ يَا عَمُّ إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ لِمَ؟ قَالَ لِيُعْطَوْكَ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَتَعْرَضَ مَا قَبْلَهُ قَالَ قَدْ عَلِمْتَ قَرِيشَ أُنَى مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا قَالَ فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ. قَالَ وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ أَعْرِفُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدِهِ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجَنِّ وَاللَّهِ مَا يُشَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُهُ حَلَاوَةً وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ وَإِنَّهُ لَمُثَمِّرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ وَإِنَّهُ لِيَعْلُو وَلَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لِيَخْطُمُ مَا تَحْتَهُ.

قَالَ لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمَكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ قَالَ قَفْ عَنِي حَتَّى أَفْكَرَ فِيهِ فَلَمَّا فَكَّرَ. قَالَ:

ان هذا الا سِحْرٌ يُؤْثِرُ يَأْتِرُهُ عَنْ غَيْرِهِ فَزَلْتُ (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا) 11-13

هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة المعاند لله و للحق و لرسوله بالمحاربة و المشاقة فذمه الله ذما

لم يذمه غيره و هذا جزاء كل من عاند الحق و نابذه أن له الخزي في الدنيا و لعذاب الآخرة أخرى 10

فقال: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) أى: خلقته منفردا بلا مال و لا أهل و لا غيره فلم أزل أُنميه و أربيه 11

قصة ابن المغيرة و وعيده 11-26

(وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) كثيرا 12

(و) جعلت له (وَبَنِينَ) ذكورا

(شُهُودًا) دائما حاضرين عنده على الدوام يتمتع بهم و يقضي بهم حوائجه و يستنصر بهم لَا يُسَافِرُونَ فِي

التَّجَارَاتِ بَلْ مَوَالِيَهُمْ وَ أَجْرَاؤُهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَ هُمْ قُعُودٌ عِنْدَ آبِيهِمْ يَتَمَتَّعُ بِهِمْ وَ يَتَمَلَّى بِهِمْ 13

(وَمَهَّدْتُ) مكنته (لَهُ) من الدنيا و أسبابها (تَمَهِّدًا) حتى انقادت له مطالبه و حصل على ما يشتهى و يريد 14

(ثُمَّ) مع هذه النعم و الإمدادات (يَطْمَعُ) يطمع (أَنْ أَزِيدَ) ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا 15

(كَلَّا) ليس الأمر كما طمع بل هو بخلاف مقصوده و مطلوبه

و ذلك لأنه (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّأُونَ عِنْدَنَا) معاندا عرفها ثم أنكرها و دعت إلى الحق

فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض و تولى عنها بل جعل يحاربها و يسعى في إبطالها 16

و لهذا قال عنه: (سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا) مَشَقَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ -عَذَابًا لَا رَاحَةَ فِيهِ 17



إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾  
 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾  
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ  
 إِلَّا مَلَائِكَةً مَّا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا  
 وَلَا يَزَنَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا  
 كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ مَّا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾  
 وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ  
 ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ  
 فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾  
 وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾

(إِنَّهُ فَكَّرَ) فى نفسه (وَقَدَّرَ) تروى - ما فكر فيه ليقول قولاً يطل به القرآن.

(فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ)

لأنه قدر أمراً ليس في طوره و تسور على ما لا يناله هو و لا أمثاله 20

(ثُمَّ نَظَرَ) ما يقول 21

(ثُمَّ عَبَسَ) قَبْضَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَ قَطَبَ - فى وجهه و ظاهره نفرة عن الحق و بغضا له

(وَبَسَرَ) كَلَجَ وَ كَرِهَ 22

(ثُمَّ أَدْبَرَ) تولى - صُرفَ عَنِ الْحَقِّ وَ رَجَعَ الْقَهْقَرَى مُسْتَكْبِرًا عَنِ الْإِنْقِيَادِ لِلْقُرْآنِ

(وَاسْتَكْبَرَ) نتيجة سعيه الفكرى و العملى و القولى 23

أن قال: (فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ) يَنْقُلُهُ مُحَمَّدٌ عَنْ غَيْرِهِ عَمَّنْ قَبْلَهُ وَيَحْكِيهِ عَنْهُمْ ﴿٢٤﴾

(إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) ما هذا كلام الله بل كلام البشر و ليس أيضا كلام البشر الأخيار

بل كلام الفجار منهم و الأشرار من كل كاذب سحار.

فتبا له ما أبعده من الصواب و أحراره بالخسارة و التباب !!

كيف يدور في الأذهان أو يتصوره ضمير كل إنسان أن يكون أعلى الكلام و أعظمه كلام الرب العظيم  
الماجد الكريم يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين!؟

أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد على وصفه كلام المبدئ المعيد فما حقه إلا العذاب الشديد و النكال **25**

و لهذا قال تعالى: (سَاضِلِيهِ ) سَأَغْمُرُهُ فِي (سَقَرٍ) مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ **26**

وصف جهنم و خزنتها 27-37

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيَا) من الشدة و لا على المعذب شيئا إلا و بلغته

(وَلَا نَذَرُ)

تَأْكُلُ لُحُومَهُمْ وَ عُرُوقَهُمْ وَ عَصَبَهُمْ وَ جُلُودَهُمْ ثُمَّ تُبَدَّلُ غَيْرَ ذَلِكَ وَ هُمْ فِي ذَلِكَ لَا يَمُوتُونَ وَ لَا يَحْيَوْنَ **28**

(لَوَاحِئُ) تلوحهم و تصليهم في عذابها و تقلقهم بشدة حرها و قرها-حراقة للجلد

(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) من الملائكة خزنة لها غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون.

(وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) زبانية غلاظا شدادا

وَ ذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حِينَ ذَكَرَ عَدَدَ الْخَزَنَةِ

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَتَغْلِبُونَهُمْ ؟

فَقَالَ اللَّهُ:- {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً} شديدي الخلق لَا يُقَاوِمُونَ وَ لَا يُغَالِبُونَ

وَ قَدْ قِيلَ: إِنَّ أَبَا الْأَشُدِّينَ - وَ اسْمُهُ:- كَلْدَةَ بَنُ أُسَيْدٍ بَنِ خَلْفٍ -

قَالَ:- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اكْفُونِي مِنْهُمْ اثْنَيْنِ وَ أَنَا أَكْفِيكُمْ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ إِعْجَابًا مِنْهُ بِنَفْسِهِ

وَ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْقُوَّةِ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى جِلْدِ الْبَقَرَةِ وَ يُجَادِبُهُ عَشْرَةً لِيَنْتَزِعُوهُ مِنْ تَحْتِ

قَدَمِيهِ فَيَتَمَرَّقُ الْجِلْدُ وَ لَا يَتَزَحَّزَحُ عَنْهُ.

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَ هُوَ الَّذِي دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مُصَارَعَتِهِ

وَ قَالَ: إِنَّ صَرَعَتِي آمَنْتُ بِكَ فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَرَارًا فَلَمْ يُؤْمِنْ.

قَالَ: وَ قَدْ نَسَبَ ابْنُ إِسْحَاقَ خَبَرَ الْمُصَارَعَةِ إِلَى رُكَانَةَ بَنِ عَبْدِ يَزِيدَ بَنِ هَاشِمٍ بَنِ الْمُطَّلِبِ (الروض الأنف)

(وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

1-يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم و عقابهم في الآخرة و لزيادة نكالهم فيها و العذاب يسمى فتنة

كما قال تعالى: { يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ } [الذاريات: 13]

2-و يحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم إلا لنعلم من يصدق و من يكذب و يدل على هذا ما ذكر

بعده في قوله: (لَيَسْتَفِيقَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا)

فإن أهل الكتاب إذا وافق ما عندهم و طابقه ازداد يقينهم بالحق و المؤمنون كلما أنزل الله آية

فآمنوا بها وصدقوا ازداد إيمانهم

(وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ)

ليزول عنهم الريب و الشك و هذه مقاصد جليلة يعتني بها أولو الألباب و هي السعي في اليقين و زيادة الإيمان في كل وقت و كل مسألة من مسائل الدين و دفع الشكوك و الأوهام التي تعرض في مقابلة الحق فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلا لهذه الفوائد الجليلة و مميزا للكاذبين من الصادقين و لهذا قال:-

(وَلَيَقُولَ الَّذِينَ) أى المنافقين (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك و شبهة و نفاق.

(وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)

و هذا على وجه الحيرة و الشك و الكفر منهم بآيات الله و هذا و ذاك من هداية الله لمن يهديه و إضلاله

لمن يضل و لهذا قال: (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ)

- فمن هداه الله:- جعل ما أنزله الله على رسوله رحمة في حقه و زيادة في إيمانه و دينه

و من أضله:- جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه و حيرة و ظلمة في حقه

و الواجب أن يتلقى ما أخبر الله به و رسوله بالتسليم

(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة و غيرهم

(إِلَّا هُوَ)

فإذا كنتم جاهلين بجنوده و أخبركم بها العليم الخبير فعليكم أن تصدقوا خبره من غير شك و لا ارتياب

\*مسلم -162 قال النبي ﷺ فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهَرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَ إِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ

(وَمَا هِيَ) و ما هذه الموعظة و التذكار مقصودا به العبث و اللعب

(إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ) و إنما المقصود به أن يتذكر به البشر ما ينفعهم فيفعلونه و ما يضرهم فيتركونه.

(كَلَّا) حقا أو بمعنى (ألا) الاستفتاحية (وَالْقَمَرِ) فأقسم تعالى بالقمر

(وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ) و بالليل وقت إدباره

(وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرُ) اشرق

لاشتمال المذكورات على آيات الله العظيمة الدالة على كمال قدرة الله و حكمته و سعة سطرانه و عموم رحمته و إحاطة علمه

و المقسم عليه قوله: (إِنِّي) أى النار

(لَا حَذَى الْكَبِيرِ) العظام

(نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) لإحدى العظام الطامة و الأمور الهامة

فإذا أعلمناكم بها و كنتم على بصيرة من أمرها ﴿٣٦﴾

(لِمَنْ) فمَنْ (شَاءَ مِنْكُمْ) (أَنْ يَنْقَدِمَ) - فيعمل بما يقربه من ربه و يدينه من رضاه و يزلفه من دار كرامته

- (أَوْ يَنْتَهِرَ) عما خلق له و عما يحبه الله و يرضاه - فيعمل بالمعاصي و يتقرب إلى نار جهنم

كما قال تعالى: - {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [الكهف: 29] 37

أسباب عذاب المجرمين 38-53

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من أعمال السوء و أفعال الشر

(رَهِيْنَةً) بها موثقة بسعيها قد ألزم عنقها و غل فى رقبتها و استوجبت به العذاب 38

(إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) فإنهم لم يرتعنوا بل أطلقوا و فرحوا 39

(فِي جَنَّاتٍ) قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم و تمت لهم الراحة و الطمأنينة حتى أقبلوا (يَسَاءَلُونَ) ﴿٤٠﴾

فأفضت بهم المحادثة

(عَنِ الْمَجْرِمِينَ) أن سألوا عن المجرمين أي حال وصلوا إليها و هل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟

فقال بعضهم لبعض: « هل أنتم مطلعون عليهم »

فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون 41

فقالوا لهم: - (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ) أى شيء أدخلكم فيها؟ وبأى: ذنب استحققتموها؟ 42

ف(قَالُوا لَرَّكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ) ﴿٤٣﴾ وَلَرَّكَ نَطْعُ الْمُسْكِينِ

فلا إخلاص للمعبود و لا إحسان و لا نفع للخلق المحتاجين 44

(وَكُنَّا فُخْرُوشَ مَعَ الْخَائِضِينَ) فى الباطل و نجادل به الحق- نَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا نَعْلَمُ- كُلَّمَا غَوِيَ غَاوٍ غَوَيْنَا مَعَهُ 45

(وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ)

هذا آثار الخوض بالباطل و هو التكذيب بالحق

و من أحق الحق يوم الدين الذى هو محل الجزاء على الأعمال و ظهور ملك الله و حكمه العدل لسائر

الخلق فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد 46

(حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ)

الموت فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذ عليهم الحيل و انسد فى وجوههم باب الأمل **47**

فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُتَوَّى صُحُفًا مُنْشَرَةً ﴿٥٢﴾

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفِرَةِ ﴿٥٦﴾

75-سورة القيامة-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٣﴾

بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾

وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾

يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

(فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ) لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى و هؤلاء لا يرضى الله أعمالهم 48

فلما بين الله مآل المخالفين و رهَّب مما يفعل بهم عطف على الموجودين بالعتاب و اللوم فقال:

(فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ) صادين غافلين عنها 49

(كَانَتْهُمْ) فى نفرتهم الشديدة منها

(حُمْرٌ) حمر و حش (مُسْتَنْفِرَةٌ) نفرت فنفر بعضها بعضا فزاد عدوها 50

(فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) من صائد و رام يريدوها-أو من أسد و نحوه

و هذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق و مع هذا الإعراض و هذا النفور يدعون الدعاوى الكبار 51

ف—(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُتَوَّى صُحُفًا مُنْشَرَةً)

{ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ

عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَنْكُرُونَ [الأنعام: 124]

نازلة عليه من السماء يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك و قد كذبوا فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا

حتى يروا العذاب الأليم فإنهم جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق و توضحه فلو كان فيهم خير لآمنوا 52



## حقيقة القرآن 54-56

ولهذا قال: (كَلَّا) أن نعطيهم ما طلبوا و هم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز

(بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) فلو كانوا يخافونها لما جرى منهم ما جرى 53

(كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ) الضمير إما أن يعود على هذه السورة أو على ما اشتملت عليه من هذه الموعظة 54

(فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ) لأنه قد بين له السبيل و وضع له الدليل 55

(وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) فإن مشيئته نافذة عامة لا يخرج عنها حادث قليل و لا كثير

ففيها رد على القدرية:- الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله

و الجبرية:- الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة و لا فعل حقيقة و إنما هو مجبور على أفعاله

فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة و فعلا و جعل ذلك تابعا لمشيئته

كقوله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان: 30]

(هُوَ أَهْلُ الْقُوَى) هو أهل أن يتقى و يعبد لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له

(وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ) و أهل أن يغفر لمن اتقاه و اتبع رضاه 56

## تفسير سورة القيامة-مكية

ليست (لَا) ها هنا نافية و لا زائدة و إنما أتى بها للاستفتاح و الاهتمام بما بعدها و لكثرة الإتيان بها مع

اليمين لا يستغرب الاستفتاح بها و إن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح.

## اثبات وقوع البعث 1-15

(لَا) ليس الأمر كما يدعى المشركون من أنه لا بعث و لا جزاء.

(أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) فالمقسم به في هذا الموضع هو المقسم عليه

و هو البعث بعد الموت و قيام الناس من قبورهم ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم. 1

(وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) و هى جميع النفوس الخيرة و الفاجرة -سميت (اللَّوَّامَةِ)

لكثرة ترددها و تلومها و عدم ثبوتها على حالة من أحوالها

و لأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه

من تفریط أو تقصير في حق من الحقوق أو غفلة

فجمع بين الإقسام بالجزاء و على الجزاء و بين مستحق الجزاء 2

ثم أخبر مع هذا أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة فقال:- (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ)

بعد الموت كما قال فى الآية الأخرى: {قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس: 78]

فاستبعد من جهله و عدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن 3

فرد عليه بقوله: **(بَلْ قَدِيرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ)** أطراف أصابعه و عظامه المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن لأنها إذا وجدت الأنامل و البنان فقد تمت خلقة الجسد

الاعجاز العلمى:-

الرابط

\*أن البنان تحتوى على البصمات و التى فى الغاية من الدقة حيث لا يتشابه اثنان فى خريطة البصمات فأقسم الله تعالى بالقيامة أنه قادر على أن يرد هذه البنان يوم القيامة كما كانت و بنفس الخريطة و الدقة و ذلك فى معرض الرد على المشركين الذين ينكرون المعاد و يستبعدون حشر الأجسام بعد كونها ترابا و قد ذكر هذا المعنى كثير من المواقع المتخصصة بالإعجاز و هذا الأمر أى عدم تطابق البصمات إنما اكتشف مؤخرا أما المفسرون فإنهم ذكروا أن البنان التى تحتوى على العظام الصغيرة و الأظافر إذا كان الله سيعيدها كما كانت و يؤلف بينها حتى تستوى فمن باب أولى أن يعيد ما هو أكبر منها **4**

**(بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ)** يريد ان **(لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ)** يبقى فاجرا فيما بقى من عمره و ما يستقبل من الزمان

يقدم الذنب و يؤخر التوبة (ليس المراد:- أن يهلك ما أمامه) **5**

**(يَسْأَلُ أَيَّانَ)** يَقُولُ الْإِنْسَانُ: أَعْمَلُ ثُمَّ أَتُوبُ قَبْلَ **(يَوْمِ الْقِيَمَةِ)**

وَ يُقَالُ: هُوَ الْكَافِرُ بِالْحَقِّ بَيْنَ يَدَيِ الْقِيَامَةِ هُوَ الَّذِي يَعْجَلُ الذُّنُوبَ وَ يُسَوِّفُ التَّوْبَةَ.

وَ قَالَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:- هُوَ الْكَافِرُ يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ.

-و ليس إنكاره لقدرة الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك و إنما وقع ذلك منه أن قصده و إرادته أن

يكذب بما أمامه من البعث و الفجور: الكذب مع التعمد

وَ إِنَّمَا سُؤَالُهُ سُؤَالُ اسْتِبْعَادٍ لَوْفُوعِهِ وَ تَكْذِيبٍ لَوْجُودِهِ كقوله

**{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ** [سبأ: 29 30] **6**

ثم ذكر أحوال القيامة فقال: **(إِذَا بَرِقَ)** حَارَ **(الْبَصَرُ)**

وَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ شَبِيهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **{لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ}** [إبراهيم: 43]

بَلْ يَنْظُرُونَ مِنَ الْفَرْعِ هَكَذَا وَ هَكَذَا لَا يَسْتَقِرُّ لَهُمْ بَصَرٌ عَلَى شَيْءٍ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ.

(ليس معناه: لمع ) **7**

**(وَحَسَفَ الْقَمَرُ)** ذهب نوره و سلطانه **8**

**(وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)** و هما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى فيجمع الله بينهما يوم القيامة و يخسف القمر

و تكور الشمس ثم يقذفان فى النار ليرى العباد أنهما عبدان مسخران و ليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين.

الاعجاز العلمى:-

الرابط

تخبرنا القياسات الحديثة لكتلة الشمس وما تفقده كل ثانية من وزنها بسبب التفاعلات الحاصلة فى داخلها و التى تسبب خسارة ملايين الأطنان كل ثانية!

هذه الخسارة لا نحسُّ بها ولا تكاد تؤثر على ما ينبعث من أشعه ضوئية من الشمس بسبب الحجم الضخم للشمس. ولكن بعد آلاف الملايين من السنين سوف تعاني الشمس من خسارة حادة في وزنها مما يسبب نقصان حجمها واختفاء جزء كبير من ضوئها وهذا يقود إلى انهيار هذه الشمس. إن نقصان وزن الشمس سيؤدي إلى نقصان في جاذبيتها للكواكب الدوارة حولها و سوف يؤدي ذلك إلى انخفاض شدَّة الشمس للقمر لذلك سوف يعاني القمر من تسارع في مداره حول الأرض و يتجاوز السرعة الحرجة له مفلتاً من مداره و لكنه لن يذهب إلى الفضاء بل سيسقط في الشمس التي ستجذبه نحوها بشدَّة والسبب في ذلك أن القمر جسم صغير مقارنة بالشمس (في ذلك الوقت).

وهنا نجد البيان القرآني يتحدث عن الحقائق المستقبلية بدقة تامة يقول تعالى: **(إذا الشمس كُوت)**

وهذا ثابت علمياً في المستقبل و يقول الله **(وَحَسَفَ الْقَمَرُ)** [القيامة: 8] **(وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)** [القيامة: 9]

إذن القمر الذي لا يمكنه بلوغ الشمس سيأتي ذلك اليوم عندما يجتمعان و الشمس ذات الحرارة الحارقة و الأشعة الضوئية الكبيرة سوف يأتي يوم يذهب ضوؤها و يخف نورها و تتكوّر على بعضها هذه حقائق مستقبلية يكشف عنها القرآن ولكن البيان القرآني يتابع لنا في نهاية النجوم التي سيكون مصيرها كالشمس بعد أن تنفذ طاقتها و يتلاشى ضوءها و تختلط مع بعضها فالمشهد في ذلك الوقت سيكون مكدرّاً فالنظام الذي نراه اليوم في الكون سيختفى لأن قوى التجاذب ستقلّ ويبدأ انهيار الكون و هنا نجد للقرآن بياناً عن النجوم:-

**(وإذا النجوم انكدرت)** [التكوير: 2] 9

**(يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ)** حين يرى تلك القلائق المزعجات:-

**(أَيْنَ الْمَفْرُجِ)** أين الخلاص و الفكاك مما طرقتنا و أصابنا ؟ 10

**(كَلَّا لَا وَزَرَ)** لا ملجأ لأحد دون الله-أى لا نَجاة-لَيْسَ لَكُمْ مَكَانٌ تَعْتَصِمُونَ فِيهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ: **(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ)** الْمَرْجِعُ وَ الْمَصِيرُ.

لسائر العباد فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله

إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة و مستقرهم فيجازى كلاهما يستحق 12

و لهذا قال:- **(يَبْنَوُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ)**

بجميع عمله الحسن و السيء في أول وقته و آخره و ينبأ بخبر لا ينكره. يُخْبِرُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ قَدِيمِهَا وَ حَدِيثِهَا أَوَّلِهَا وَ آخِرِهَا صَغِيرِهَا وَ كَبِيرِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى:

**{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}** [الْكَاف: 49] 13

**(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)** شاهد و محاسب 14

**(وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ)** و لو اعتذر و أنكر و لَوْ جَادَلَ عَنْهَا فَهُوَ بَصِيرٌ عَلَيْهَا.

كَقَوْلِهِ: **{لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}** [الأنعام: 23] وَ كَقَوْلِهِ

{يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِقُونَهُ لَهْ كَمَا يُخْلِقُونَ لَكُمْ وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [المجادلة: 18]

فإنها معاذير لا تقبل و لا تقابل ما يقرر به العبد فيقرر به

-فالعبد و إن أنكر أو اعتذر عما عمله فإنكاره و اعتذاره لا يفيدانه شيئاً لأنه يشهد عليه سمعه و بصره و جميع جوارحه بما كان يعمل و لأن استعباده قد ذهب وقته و زال نفعه:

{ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } [الروم: 57] 15

- كان النبي ﷺ إذا جاءه جبريل عليه السلام بالوحي و شرع في تلاوته عليه

بادره النبي ﷺ من الحرص قبل أن يفرغ و تلاه مع تلاوة جبريل عليه السلام إياه فنهاه الله عن هذا

و قال هنا: (لَا تُحَرِّكْ) أيها النبي (بِهِ لِسَانُكَ) بالقرآن لسانك حين نزول الوحي

حرص النبي ﷺ على حفظ الوحي 16-19

(لَتَعْجَلَ بِهِ) لأجل أن تتعجل بحفظه مخافة أن يتفلت منك.

\*الصحيح المسند لاسباب النزول:- البخاري 5- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}

قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ (محاولة الشيء بمشقة) مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَ كَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا

وَ قَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة: 17] قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَ تَقْرَأَهُ:

{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: 18] قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَ أَنْصِتْ: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة: 19] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ

تَقْرَأَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ 16

(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)-ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه و يقرأه و يجمعه الله في صدره فقال:

فالحرص الذي في خاطرك إنما الداعي له حذر الفوات و النسيان فإذا ضمنه الله لك فلا موجب لذلك 17

(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) إذا كمل جبريل قراءة ما أوحى الله إليك

(فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) فحينئذ اتبع ما قرأه و أقرأه 18

(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) بيان معانيه فوعده بحفظ لفظه و حفظ معانيه و هذا أعلى ما يكون

فامتثل ﷺ لأدب ربه فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا أنصت له فإذا فرغ قرأه 19

- و في هذه الآية أدب لأخذ العلم:-

1- أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه

2- و كذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان أن لا يبادر برده أو قبوله حتى يفرغ من ذلك الكلام

ليتبين ما فيه من حق أو باطل و ليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه

3- و فيها أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي فإنه قد بين لهم معانيه

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ لَهَا مَرْاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَتِ إِلَىٰ آلِهَا بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِتَمَطُّجٍ ﴿٣٣﴾ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

76-سورة الإنسان-مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

(كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) هذا الذى أوجب لكم الغفلة و الإعراض عن وعظ الله و تذكيره أنكم و تسعون فيما

يحصلها و فى لذاتها و شهواتها و تؤثرونها على الآخرة 20

أحوال الناس يوم القيامة و اثبات البعث 20-40

(وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ)

فتذرون العمل لها لأن الدنيا نعيمها و لذاتها عاجلة و الإنسان مولع بحب العاجل و الآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم

-فلذلك غفلتم عنها و تركتموها كأنكم لم تخلقوا لها و كأن هذه الدار هى دار القرار التى تبذل فيها نفائس الأعمار و يسعى لها آناء الليل و النهار

-و بهذا انقلبت عليكم الحقيقة و حصل من الخسار ما حصل.

-فلو آثرتم الآخرة على الدنيا و نظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتهم و ربحتم ربحا لا خسار معه

و فزتم فوزا لا شقاء يصحبه 21

-ثم ذكر ما يدعو إلى إيثار الآخرة ببيان حال أهلها و تفاوتهم فيها فقال فى جزاء المؤثرين للآخرة على

الدنيا:- (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ)

حسنة بهية لها رونق و نور مما هم فيه من نعيم القلوب و بهجة النفوس و لذة الأرواح 22

(إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم:

1-منهم من ينظره كل يوم بكرة و عشيا

## 2-و منهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة

فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم و جماله الباهر الذي ليس كمثله شيء فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم و حصل لهم من اللذة و السرور ما لا يمكن التعبير عنه و نضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم.

\*البخارى 7435 - عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»

\*البخارى 7439 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: -قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا قَالَ:

«فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَاهُمَا» **23**

و قال في المؤثرين العاجلة على الآجلة: (**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ**) معبسة و مكدره -خاشعة ذليلة- كالحلة **24**

(تُظَنُّ) (تستيقن) (أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَّةً)

تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة تقصم فقار الظهر فلذلك تغيرت وجوههم و عبست **25**

(كَلَّا) (حَقًّا) (إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) عظام الحلق (العظام المكننفة لثغرة النحر)

يعظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق و أنه إذا بلغت روحه التراقي و هى فحينئذ يشتد الكرب

و يطلب كل وسيلة و سبب يظن أن يحصل به الشفاء و الراحة **26**

و لهذا قال: (**وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ**) من يرقيه من الرقية- مَنْ طَبِيبٌ شَافٍ- لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية فلم

يبق إلا الأسباب الإلهية و لكن القضاء و القدر إذا حتم وجاء فلا مرد له **27**

(وَلَنْ أَنَّهُ الْفِرَاقُ) للدنيا **28**

(وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) و اتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة-اجتمعت الشدائد و التفت و عظم الأمر

-فهذا الزجر الذي ذكره الله يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها و يزرعها عما فيه هلاكها.

-و أريد أن تخرج الروح التي ألقت البدن و لم تزل معه فتساق إلى الله تعالى حتى يجازيها بأعمالها و يقررها

بفعالها **29**

(إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) المرجع و المآب **30**

(فَلَا صَدَقَ) لا آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره

(وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ) بالحق في مقابلة التصديق

(وَتَوَلَّى) عن الأمر و النهي هذا و هو مطمئن قلبه غير خائف من ربه **32**



(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) ليس على باله شيء- يختال- يتبختر- جدلاً- أشراً بطراً كسلاناً لا همة له ولا عمل كما

قَالَ: {وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} [المُطَفِّينَ: 34] 33

ثم توعده بقوله:- (أَوَلَيْكَ فَأُولَى) هلاك لك فهلاك (ثُمَّ أَوَلَى لَكَ فَأُولَى) ثم هلاك لك فهلاك.

و هذه كلمات وعيد كررها لتكرير وعيده

\* وَ هَذَا تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ أَكِيدُ مِنْهُ تَعَالَى لِلْكَافِرِ بِهِ الْمُتَبَخَّرِ فِي مَشِيَّتِهِ  
أَي: يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَمُوتَ هَكَذَا وَقَدْ كَفَرْتَ بِخَالِقِكَ وَ بَارئِكَ كَمَا يُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ  
وَ التَّهْدِيدِ كَقَوْلِهِ: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدُّخَانِ: 49].

\* الصحيح المسند لاسباب النزول-السنن الكبرى 11574- عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:-  
{أَوَلَى لَكَ فَأُولَى} [القيامة: 34] قَالَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ:-

قَالَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَنْزَلَهُ اللَّهُ 35

\*ثم ذكر الإنسان بخلقه الأول فقال:-

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) مهملاً معطلا لا يؤمر و لا ينهى و لا يثاب و لا يعاقب؟

هذا حساب باطل و ظن بالله بغير ما يليق بحكمته 36

(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ) أَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ نُطْفَةً ضَعِيفَةً مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ

(يُمْنَى) يُرَاقُ مِنَ الْأَصْلَابِ فِي الْأَرْحَامِ 37

(ثُمَّ كَانَ) بعد المرى

(عَلَقَةً) ثم صار قطعة من دم جامد-ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ شَكْلٌ وَ نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ فَصَارَ خَلْقًا آخَرَ سَوِيًّا سَلِيمًا  
الْأَعْضَاءِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ تَقْدِيرِهِ

(فَخَلَقَ) الله منها الحيوان

(فَسَوَّيْنِ) أتقنه و أحكمه 38

(فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) (أَلَيْسَ ذَلِكَ) الذى خلق الإنسان و طوره إلى هذه الأطوار المختلفة

(يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ) بلى إنه على كل شيء قدير .

\* مصنف عبد الرزاق 4051 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ} [القيامة: 40]

قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ بَلَى» وَ إِذَا قَرَأَ: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} قَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى"

\* مصنف عبد الرزاق الصنعاني 4052 - عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ التَّيْنِ  
وَ بَلَغَ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ} [التين: 8] قَالَ: «بَلَى»

وَ إِذَا قَرَأَ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: 40] قَالَ: «بَلَى»

وَ إِذَا قَرَأَ: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المسلات: 50] وَمَا أُنْزِلَ أَوْ قَالَ: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ» 40

### تفسير سورة هل أتى على الإنسان-مكية

\*البخارى -891 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ (الْم تَنْزِيلُ) السَّجْدَةَ وَ (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ)»

خلق الله و هدايته لأحد السبيلين 3-1

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ) قد مضى على الإنسان وقت طويل

(مِنَ الدَّهْرِ) الزمان قبل أن تُنفخ فيه الروح

(لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) لم يكن شيئاً يُذكر و لا يُعرف له أثر 1

\*ثم لما أراد الله تعالى خلقه خلق أباه آدم من طين ثم جعل نسله متسلسلا

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ) ماء مهين مستقذر (أَمْشَاجٍ) أخلاط و الْمَشْجُ وَ الْمَشِيجُ:- الشَّيْءُ الْخَلِيطُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ.

(بَتَّالِيهِ) نختبره بذلك لنعلم هل يرى حاله الأولى و يتفطن لها أم ينساها و تغره نفسه؟

هَوْلِهِ: {لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [المُلْك: 2]

(فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) يَتِمَكَّنُ بِسَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَ الْمَعْصِيَةِ

فأتم السمع و البصر و سائر الاعضاء له و جعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده 2

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ) بَيِّنًا وَ وَضَحًا وَ بَصْرًا بِـ (السَّبِيلِ)

ثم أرسل إليه الرسل و أنزل عليه الكتب و هداه الطريق الموصلة إلى الله وَ رَغَّبَهُ فِيهَا وَ أَخْبَرَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَ الْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ.

ثم أخبره بالطريق الموصلة إلى الهلاك و رهبه منها و أخبره بما له إذا سلكها و ابتلاه بذلك

فانقسم الناس إلى:-

1- (إِنَّمَا شَاكِرًا) لنعمة الله عليه قائم بما حملة الله من حقوقه

2- (وَأِنَّمَا كَفُورًا)

لنعمة الله عليه أنعم الله عليه بالنعم الدينية و الدنيوية فردها و كفر بربه و سلك الطريق الموصلة إلى الهلاك.

هَوْلِهِ: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فُصِّلَتْ: 17]

عذاب الكافرين 4

وَ هَوْلِهِ: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [الْبَلَد: 10] 31

ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال:-

(إِنَّا أَعْتَدْنَا) هيأنا و أَرَصَدْنَا (لِلْكَافِرِينَ) لمن كفر بالله و كذب رسله و تجرأ على المعاصي

(سَلْسِلًا) في نار جهنم كما قال تعالى: -{ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: 32]

(وَأَغْلَلْنَا) تغل بها أيديهم إلى أعناقهم و يوثقون بها.

نعيم الابرار 5-22

(وَسَعِيرًا) نارا توقد أو تتأجج بها أجسامهم و تحرق بها أبدانهم

{كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء: 56]

(إِنَّ الْأَبْرَارَ) و هم الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله و معرفته و الأخلاق الجميلة فبرت جوارحهم

و استعملوها بأعمال البر 31

أخبر أنهم (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) شراب لذيذ من خمر

(كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) قد مزج بكافور أي: خلط به ليبرده و يكسر حدته

و هذا الكافور في غاية اللذة قد سلم من كل مكدر و منغص موجود في كافور الدنيا

فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة و هى في الدنيا: تعدم في الآخرة .

كما قال تعالى: {فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ 28 وَظِلِّجٍ مَّنْضُودٍ} [الواقعة: 28 29]

{وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ} [آل عمران: 15]

### \*الاعجاز في ((فجعل منه الزوجين الذكر و الانثى)) الرابط

من المعلوم في الوقت الحاضر أن النطفة الذكرية والأنثوية للإنسان تحتوى كل واحدة منها على نصف العدد (23 فردًا) من الأجسام الصبغية أو الكروموسومات التي تحمل المورثات فعندما يتم الإخصاب بينهما و يتكون منهما أول خلية للجنين يتكون العدد الثنائي (23 زوجًا) و هو العدد الحقيقي للأجسام الصبغية في كل خلية من خلايا الإنسان. كما توصل العلماء في العصر الحديث إلى معرفة أن مني الرجل يحمل نوعين من الأمشاج:-

1-الحيوانات المنوية التي تحمل الصبغى Y الذي يؤدي إلى الذكورة

2-و النوع الآخر X يحمل الصبغى الذي يؤدي إلى أن يكون جنس الجنين أنثى إذا ما أخصب أي منهما البويضة و قدر لها أن يتكون منها الجنين. حيث يكون التركيب الوراثي للصبغيات الجنسية (الكروموسومات الجنسية) في الجنين الذكر هي (XY) و للأنثى (XX)

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾  
وَيُطْعَمُونَ الْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجَائِكُمْ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾  
إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا  
جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهَا  
تَدْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثَيَابٌ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا  
كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ  
لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مِّنْ سُندُسٍ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ  
وَحُلُوفٌ أَسْوَدَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾  
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾  
وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

(عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا) منها (عِبَادُ اللَّهِ) بِلا مَزَجٍ

ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به لا يخافون نفاده بل له مادة لا تنقطع و هي عين دائمة الفيضان

(يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يفجرها عباد الله تفجيراً أى شاءوا و كيف أرادوا فإن شاءوا صرفوها إلى البساتين الزاهرات  
أو إلى الرياض الناضرات أو بين جوانب القصور و المساكن المزخرفات

و التَّفْجِيرُ هُوَ الْإِنْبَاعُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوءًا} [الإسراء: 90] 6

و قد ذكر جملة من أعمالهم في أول هذه السورة فقال:-

(يُوفُونَ بِالْغَدْرِ) بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور و المعاهدات و إذا كانوا يوفون بالندر و هو لم يجب عليهم

إلا بإيجابهم على أنفسهم كان فعلهم و قيامهم بالفروض الأصلية من باب أولى و أخرى

\*البخارى 6696 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ (نذر فعلا فيه طاعة) فَلْيُطِعهُ وَ مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ (نذر فعلا فيه معصية) فَلْيَعْصِهِ»

(وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) منتشرا فاشيا فخافوا أن ينالهم شره فتركوا كل سبب موجب لذلك 7

(وَيُطْعَمُونَ الْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ)

أي: و هم في حال يحبون فيها المال و الطعام لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم

و يتحرون في إطعامهم أولى الناس و أحوجهم

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آلِ عِمْرَانَ: 92]

\*البخارى 419- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: -يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ» (البخل مع الحرص) تَخْشَى الْفَقْرَ (تخافه و تحسب له حساباً) وَ تَأْمُلُ (تطمع) الْغِنَى وَ لَا تَهْمِلُ (تؤخر) حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (قاربت الروح الحلق و المراد شعرت بقرب الموت): -قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا (أخذت توصي و تتصدق) وَ لِفُلَانٍ كَذَا وَ قَدْ كَانَ لِفُلَانٍ (قد أصبح مالك ملكاً لغيرك و هم ورثتك) «

### (مُسْكِينًا وَبَيْنَمَا وَأَسِيرًا) 8

يقصدون بإنفاقهم و إطعامهم وجه الله تعالى و يقولون بلسان الحال:-

(إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً) مالياً (وَلَا شُكُورًا) ثناء قولياً.

قال مجاهد: مَا قَالُوهُ بِالْإِسْتِثْنَاءِ وَ لَكِنْ عَلِمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ فَأَتْنَى عَلَيْهِمْ بِهِ لِيَرْغَبَ فِي ذَلِكَ رَاغِبٌ 9

(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا) شديد الجَهْمَةِ و الشر-تتقطَّبُ الجباه من فظاعة أمره و شدة هوله.

### (فَطَرِيرًا) ضنكا ضيقا 10

(فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ) فلا يحزنهم الفرع الأكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون

(وَلَقَّعَهُمْ) أكرمهم و أعطاهم

(نَضْرَةً) ففى وجوههم

(وَسُرُورًا) ففى قلوبهم فجمع لهم بين نعيم الظاهر و الباطن 11

(وَجَزَّيْنَهُم بِمَا صَبَرُوا)

1-على طاعة الله فعملوا قد الامكان 2-و عن معاصى الله فتركوها 3-و على أقدار الله المؤلمة فلم يتسخطوها

(جَنَّةً) جامعة لكل نعيم سالمة من كل مكدر و منغص

(وَحَرِيرًا) كما قال تعالى: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج: 23]

و لعل الله إنما خص الحرير لأنه لباسهم الظاهر الدال على حال صاحبه 12

(مُتَّكِئِينَ) الاتكاء:-التمكن من الجلوس ففى حال الرفاهية و الطمأنينة و الراحة

(فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ) هي السرر التى عليها اللباس المزين

(لَا يَرَوْنَ فِيهَا) ففى الجنة

(شَمْسًا) يضرهم حرها

(وَلَا زَمَهَرِيرًا) بردا شديدا 13

(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا)

بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل لا حر و لا برد بحيث تلتذ به الأجساد و لا تتألم من حر و لا برد.

(وَذُلِّلَتْ) (قُرْبَتْ) (قُطُوفُهَا) ثمراتها من مريدها (نَذِيلًا) تقريبا ينالها و هو قائم أو قاعد أو مضطجع 14

(وَيُطَافُ) يدور على أهل الجنة الخدم و الولدان

(عَلَيْهِمْ ثَانِيَةٌ مِّنْ فَضَّةٍ) مادتها من فضة

(وَأَكْوَابٍ) الشراب و هِيَ الْكِيزَانُ الَّتِي لَا عَرَى لَهَا وَ لَا خَرَاطِيمَ.

(كَانَتْ قَوَارِيرًا) الزُّجَاجُ 15

(قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ)

بَيَاضُ الْفِضَّةِ فِي صَفَاءِ الزُّجَاجِ وَ هِيَ مَعَ هَذَا شَفَافَةٌ وَ هَذَا مِمَّا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا.

(قَدَرُوهَا نَقِيرًا)

قدروا الأواني المذكورة على قدر ربيهم لا تزيد و لا تنقص لأنها لو زادت: نقصت لذتها و لو نقصت: لم تف بريهم .

و يحتمل أن المراد:—قدرها أهل الجنة بنفوسهم بمقدار يوافق لذاتهم فأتتهم على ما قدروا في خواطرهم 16

(وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا) في الجنة من كأس و هو الإناء المملوء من خمر و رحيق

(كَانَ مِنْ أَجْهَافِهَا) خلطها

(وَنَجِيًّا) لطيب طعمه و ريحه.

\*أما الابرار:—فَتَارَةً يُمَزَّجُ لَهُمُ الشَّرَابُ بِالكافور وَ هُوَ بَارِدٌ وَ تَارَةً بِالنَّجِيلِ وَ هُوَ حَارٌّ لِيَعْتَدِلَ الْأَمْرُ وَ هَؤُلَاءِ يُمَزَّجُ لَهُمُ مِنْ هَذَا تَارَةً وَ مِنْ هَذَا تَارَةً.

وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ:—فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا صِرْفًا 17

(عَيْنًا فِيهَا) في الجنة

(تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) سميت بذلك لسلاستها و لذتها و حسنها 18

(وَيَطُوفُ) على أهل الجنة في طعامهم و شرابهم و خدمتهم.

(عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ) خلقوا من الجنة للبقاء لا يتغيرون و لا يكبرون و هم في غاية الحسن



(إِذَا رَأَيْتَهُمْ) منتشرين في خدمتهم

(حَسِبْتَهُمْ) من حسنهم

(لَوْ لَوْ مَشُورًا) وهذا من تمام لذة أهل الجنة أن يكون خدامهم الولدان المخلدون الذين تسر رؤيتهم و يدخلون على مساكنهم آمنين من تبعثهم و يأتونهم بما يدعون و تطلبه نفوسهم 19

(وَلِإِذَا رَأَيْتَهُمْ) هناك في الجنة و رمت ما هم فيه من النعيم

(رَأَيْتَ نَيْمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا) مَمْلَكَةً لِلَّهِ هُنَاكَ عَظِيمٌ وَ سُلْطَانًا بَاهِرًا

\* فتجد الواحد منهم عنده من القصور و المساكن و الغرف المزينة المزخرفة ما لا يدركه الوصف و لديه من البساتين الزاهرة و الثمار الدانية و الفواكه اللذيذة و الأنهار الجارية و الرياض المعجبة و الطيور المطربة المشجية ما يأخذ بالقلوب و يفرح النفوس و عنده من الزوجات اللاتي هن في غاية الحسن و الإحسان الجامعات لجمال الظاهر و الباطن الخيرات الحسان ما يملأ القلب سرورا و لذة و حورا و حوله من الولدان المخلدين و الخدم المؤبدين ما به تحصل الراحة و الطمأنينة و تتم لذة العيش و تكمل الغبطة.

\* ثم علاوة ذلك و أعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم و سماع خطابه و لذة قربه و الابتهاج برضاه و الخلود الدائم و تزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين فسبحان الملك المالك الحق المبين الذي لا تنفذ خزائنه و لا يقل خيره فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره و إحسانه.

\* البخاري 7511 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ وَ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: رَبِّ الْجَنَّةِ مَلَأَى فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ مَلَأَى

فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشَرَ مَرَّاتٍ 20

(عَلَيْهِمْ) يعلوهم و يجل أبدانهم (ثِيَابٌ سُنْدِيَّةٌ) بطائنها من الحرير الرقيق (خَضِرٌ) لونه أخضر

و ظاهرها من الحرير الغليظ (وَأَسْتَبْرَقٌ)

(وَحُلُورًا) في أيديهم (أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) ذكورهم و إناثهم و هذا وعد وعدهم الله

(وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ) هذا غير ما ذكر فيما تقدم هذا إكرام خاص و هو أن الله تعالى هو الذي يسقيهم

(شَرَابًا طَهُورًا) و أن هذا الشراب بالغ مبلغا عظيما في الطهارة لوصفه بالطهور لا كدر فيه بوجه من الوجوه مطهرا لما في بطونهم من كل أذى و قذى **21**

(إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً) الجزاء الجزيل و العطاء الجميل على ما أسلفتموه من الأعمال

(وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) القليل منه يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن حصره **22**

و قوله تعالى لما ذكر نعيم الجنة (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)

فيه الوعد و الوعيد و بيان كل ما يحتاجه العباد و فيه الأمر بالقيام بأوامره و شرائعه أتم القيام و السعى فى تنفيذها و الصبر على ذلك و لهذا قال:-

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ مِنْهُمْ) 1-لحكمه القدرى فلا تسخطه 2-و لحكمه الديرى فامض عليه و لا يعوقك عائق.

(وَلَا تَطْغِ) من المعاندين الذين يريدون أن يصدوك

توجيهات النبی و للمؤمنين 23-31

(إِثْمًا) فاعلا إثما و معصية

(أَوْ كُفُورًا) فى قلبه

فإن طاعة الكفار و الفجار و الفساق لا بد أن تكون فى المعاصى فلا يأمرؤن إلا بما تهواه أنفسهم **24**

\* و لما كان الصبر يساعده القيام بعبادة الله و الإكثار من ذكره أمره الله بذلك فقال:-

(وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً) أول النهار (وَأَصِيلًا) آخر النهار

فدخل فى ذلك الصلوات المكتوبات و ما يتبعها من النوافل و الذكر و التسبيح و التهليل و التكبير فى هذه الأوقات.

\* كَهْوِلِهِ: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُورًا } [الإسراء: 79] **25**

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ ﴿٢٩﴾ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٢﴾

77-سورة المرسلات-مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا الْتَجُمْتُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْقِذَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ) أكثر له من السجود و لا يكون ذلك إلا بالكثرة من الصلاة .

(وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: {يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ 1 قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: 2 1]

(أى: صل له و ليس معناها ذكر اللسان 26

(إِنَّ هَؤُلَاءِ) المكذبين لك أيها الرسول بعد ما بينت لهم الآيات و رغبوا و رهبوا

و مع ذلك لم يفد فيهم ذلك شيئاً بل لا يزالون (يُحِبُّونَ) يؤثرون

(الْعَاجِلَةَ) الدنيا و يطمنون إليها

(وَيَذُرُونَ) يتركون العمل و يهملون

(وَرَاءَهُمْ) أمامهم

(يَوْمًا نَقِيلًا) يوم القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون كقوله {يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر: 8]

فكانهم ما خلقوا إلا للدنيا و الإقامة فيها 27

ثم استدل عليهم و على بعثهم بدليل عقلي و هو دليل الابتداء فقال:

(نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ) أوجدناهم من العدم

\*تورد على الملحدين و العلمانيين الذين تبجحوا بالاستنساخ

الاستنساخ:-

من الفعل (نسخ) وهو الحصول على صورة طبق الأصل من النسخة الأصلية عن طريق زرع خلية عادية في بويضة أُفرغت من الكروموسوم أى من الإرث الجينى بحيث تصبح خلية قابلة للتكاثر عن طريق الإنقسام الخليوي المعتاد ثم ملؤها بخلية أخرى من كائن مكتمل النمو تحمل صفاته الوراثية و زرعها في رحم أنثى بالغة. لتأتي النتيجة جنيناً أو مولوداً مستنسخاً من صاحب الخلية المزروعة.

(وَشَدَدْنَا) <sup>ط</sup> (حَكَمْنَا) (أَسْرَهُمْ) خلقتهم بالأعصاب و العروق و الأوتار و القوى الظاهرة و الباطنة حتى تم الجسم و استكمل و تمكن من كل ما يريده فالذى أوجدهم على هذه الحالة قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم و الذي نقلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار لا يليق به أن يتركهم سدى لا يؤمرون و لا ينهون و لا يثابون و لا يعاقبون

و لهذا قال: (وَإِذَا شِئْنَا بِدَلْنَا آمَلَهُمْ تَبْدِيلًا)

أنشأناكم للبعث نشأة أخرى و أعدناكم بأعيانكم و هم بأنفسهم أمثالهم.

كقوله {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} [النساء: 133] **28**

(إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ) <sup>ط</sup> يتذكر بها المؤمن فينتفع بما فيها من التخويف و الترغيب.

(فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)

طريقا موصلا إليه فالله يبين الحق و الهدى ثم يخير الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها مع قيام الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حيى عن بينة **29**

(وَمَا تَشَاءُونَ)

لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَهْدِيَ نَفْسَهُ وَ لَا يَدْخُلَ فِي الْإِيمَانِ وَ لَا يُجْرَ لِنَفْسِهِ نَفْعًا فَإِنْ مَشِئَ اللَّهُ نَافَذَ

(إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا)

عَلِيمٌ مَّنْ يَسْتَحِقُّ الْهِدَايَةَ فَيُسِّرْهَا لَهُ وَ يَقَيِّضْ لَهُ أَسْبَابَهَا وَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْغَوَايَةَ فَيَصْرِفْهُ عَنِ الْهُدَى

(حَكِيمًا) فله الحكمة في هداية المهتدى و إضلال الضال **30**

(يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) <sup>ط</sup> فيختصه بعنايته و يوفقه لأسباب السعادة و يهديه لطرقها.

(وَالظَّالِمِينَ) الذين اختاروا الشقاء على الهدى

(أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) بظلمهم و عدوانهم **31**

## تفسير سورة المرسلات-مكية

\*البخارى 1830 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ مِّنَى إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ: وَ الْمُرْسَلَاتِ وَ إِنَّهُ لَيَتْلُوهَا وَ إِنِّي لَأَتْلَقُهَا مِنْ فِيهِ وَ إِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا (لم يجف ريقه من قراءتها) إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْتُلُوهَا»

فَابْتَدَرْنَاهَا (أُسرنا إلى أخذها و قتلها) فَذَهَبَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَيْتُ شَرَكُمْ كَمَا وَقَيْتُمْ شَرَّهَا»

(وَالْمُرْسَلَاتِ) أقسم تعالى على البعث و الجزاء بالأعمال بالمرسلات عرفا

قيام الساعة و أهوالها 15-1

و هى الملائكة التى يرسلها الله تعالى بشئونه:

1-القدرية و تدبير العالم 2-و بشئونه الشرعية 3-و وحيه إلى رسله.

و (عُرْفًا) حال من المرسلات-أى: أرسلت بالعرف و الحكمة و المصلحة لا بالنكر و العيب 1

(فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا) و هى أيضا :

1-الملائكة التى يرسلها الله تعالى وصفها بالمبادرة لأمره و سرعة تنفيذ أوامره كالريح العاصف

2-أو: أن العاصفات الرياح الشديدة التى يسرع هبوبها 2

(وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا)

يحتمل أنها:-

1-الملائكة تنشر ما دبرت على نشره

2-أو أنها السحاب التى ينشر بها الله الأرض فيحييها بعد موتها 3

(فَالْمُرَقَّتِ فَرْقًا)

فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى الرُّسُلِ تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ الْهُدَى وَ الْغَى وَ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ

وَ تُلْقِي إِلَى الرُّسُلِ وَحْيًا فِيهِ إِعْذَارٌ إِلَى الْخَلْقِ وَ إِذْأَرُ لَهُمْ عِقَابَ اللَّهِ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَهُ 4

(فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا)

هى الملائكة تلقي أشرف الأوامر و هو الذكر الذى يرحم الله به عباده و يذكرهم فيه منافعهم و مصالحهم

تلقيه إلى الرسل. 5

(عُذْرًا) إغذارا للناس و تقطع معذرتهم فلا يكون لهم حجة على الله.

(أَوْ نُذْرًا) و إندارا للناس تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف 6

(إِنَّمَا تُوعَدُونَ) من البعث و الجزاء على الأعمال

(لَوَيْعٌ)

متحتم وقوعه من غير شك و لا ارباب فإذا وقع حصل من التغير للعالم و الأهوال الشديدة ما يزعج القلوب و تشتد له الكروب 7

(فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) تتناثر و تزول عن أماكنها - ذهب ضوءها كَقَوْلِهِ: {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التَّكْوِين: 2] 8

(وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) انْفَطَرَتْ وَ انْشَقَّتْ وَ تَدَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا وَ وَهَتْ أَطْرَافُهَا 9

(وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ)

تطairت الجبال فتكون كالهباء المنثور و تكون هى و الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمتا

كَقَوْلِهِ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه: 105 - 107] 10

(وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ) جُمِعَتْ كَقَوْلِهِ {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ} [الْمَائِدَة: 109] - أو أَجَلَتْ.

و ذلك اليوم هو اليوم الذي أقتت فيه الرسل و أجلت للحكم بينها و بين أممها 31

و لهذا قال: (لَا تَنِيَّ يَوْمَ أُجِّلَتْ) استفهام للتعظيم و التفخيم و التهويل. ثم أجاب بقوله:

(لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بين الخلائق بعضهم لبعض و حساب كل منهم منفردا

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) ثم تواعد المكذب بهذا اليوم فقال:-

(وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) يا حسرتهم و شدة عذابهم و سوء منقلبهم أخبرهم الله

و أقسم لهم فلم يصدقوه فاستحقوا العقوبة البليغة.

تخويف الكافرين بالهلاك و بقدرة الله 16-28

(أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) أى: أما أهلكنا المكذبين السابقين

(ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ) ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين ممن أشبههم لذلك قال:-

(كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)

و هذه سنته السابقة و اللاحقة في كل مجرم لا بد من عذابه فلم لا تعتبرون بما ترون و تسمعون؟

(وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بعدما شاهدوا من الآيات البينات و العقوبات و المثالات.



.....

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾  
 وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشَى شَجَائِدٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ  
 مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَطْلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ  
 ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِّيلٍ وَلَا يَغْنِي مِنَ الْلَّهِبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾  
 وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾  
 هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾  
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكِهِ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوا وَتَمَنَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾  
 وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾  
 فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

**(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ)** أما خلقناكم أيها الآدميون **(مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ)** في غاية الحقارة خرج من بين الصلب و الترائب **20**  
 \*أحمد 17842 - عَنْ بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ الْقُرَشِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَزَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبَعَهُ ثُمَّ قَالَ:  
 قَالَ اللَّهُ: ابْنُ آدَمَ أَتَى تُعْجِزُنِي وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَ عَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ  
 وَ لِلْأَرْضِ مِنْكَ وَبَيْدٌ فَجَمَعْتُ وَ مَنَعْتُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي قُلْتُ: أَتَصَدَّقُ وَ أَتَى أَوَانُ الصَّدَقَةِ "  
**(فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)** و هو الرحم به يستقر و ينمو **21**

**(إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ)** و وقت مقدر-من ستة أشهر الى تسعة أشهر **22**

**(فَقَدَرْنَا)** قدرنا و دبرنا ذلك الجنين في تلك الظلمات و نقلناه من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى  
 أن جعله الله جسدا ثم نفخ فيه الروح و منهم من يموت قبل ذلك.

**(فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ)** يعرئ بذلك نفسه المقدسة حيث كان قدرا تابعا للحكمة موافقا للحمد **23**

**(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)** بعدما بين الله لهم الآيات و أراهم العبر و البيئات **24**

**(أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ)** أما امتنا عليكم و أنعمنا بتسخير الأرض لمصالحكم

فجعلناها **(كِفَاتًا)** نضم على ظهرها أحياء لا يحصون و في بطنها أمواتا لا يحصرون **25**

**(أَحْيَاءَ)** في الدور

(وَأَمْوَاتًا) في القبور فكما أن الدور و القصور من نعم الله على عباده و منته

فكذلك القبور رحمة في حقهم و ستر لهم عن كون أجسادهم بادية للسباع و غيرها **26**

(وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ) جبالا ترسى الأرض لئلا تميد بأهلها

فشبتها الله بالجمال الراسيات الـ (شَمِخْتِ) الطوال العراض

(وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا) عذبا زلالا **27**

(وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) مع ما أراهم الله من النعم التي انفرد الله بها و اختصهم بها فقابلوها بالكذيب **28**

هذا من الويل الذي أعد للمجرمين للمكذبين أن يقال لهم يوم القيامة:

(أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) **29**

تحذير الكافرين من احوال القيامة 29-40

ثم فسر ذلك بقوله: (أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ) إلى ظل نار جهنم (ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ)

التي تتمايز في خلاله ثلاث شعب أى: قطع من النار أى: تتعاوره و تتناوبه و تجتمع به **30**

(لَا ظِلِيلٍ) ذلك الظل أي: لا راحة فيه و لا طمأنينة

(وَلَا يَغْنِي) من مكث فيه

(مِنَ اللَّهَبِ) بل اللهب قد أحاط به يمنة و يسرة و من كل جانب كما قال تعالى:

{ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُوا } [الزمر: 16]

{ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ } [الأعراف: 41] **31**

(إِنَّهَا تَرْمِي) إن جهنم تقذف من النار (بِشَكْرِ) عظيم

(كَالْقَصْرِ) كل شرارة منه كالبناء المشيد في العظم و الارتفاع **32**

(كَأَنَّهُ جَمَلَةٌ) كأن شر جهنم المتطاير منها إبل سود- مفرد جمالة و هى جمع جمل وهو ذكر الإبل.

(صَفْرٌ) يميل لونها إلى الصفرة

و العرب تسمى سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة.

\*البخارى 4933 - عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا { تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ } [المرسلات: 32]

قَالَ: «كُنَّا نَعْمِدُ إِلَى الْخَشَبَةِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ فَتَرْفَعُهُ لِلشَّتَاءِ فَنُسَمِّيهِ الْقَصَرَ

(كَأَنَّهُ جَمَالَاتٌ صُفْرٌ) حِبَالُ السُّفْنِ تُجْمَعُ حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ» **33**

(وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) **34**

(هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ) هذا اليوم العظيم الشديد على المكذبين لا ينطقون فيه من الخوف و الوجل الشديد **35**  
(وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) لا تقبل معذرتهم و لو اعتذروا:

{ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } [الروم: 57] **36**

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) **37**

(هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ بِمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ) لفصل بينكم و نحكم بين الخلائق **38**

(فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) تقدرون على الخروج من ملكى و تنجون به من عذابى { وَلَا تَصْرُوهُ شَيْئًا } [هود: 57]

\* مسلم-2577 قال النبى ﷺ قال الله يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى وَ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى

(فَكِيدُونَ) ليس لكم قدرة و لا سلطان كما قال تعالى:

{ يَا مَعْشَرَ الْخَنِىِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } [الرحمن: 33]

-ففي ذلك اليوم تبطل حيل الظالمين و يضمحل مكرهم و كيدهم و يستسلمون لعذاب الله و يبين لهم

كذبهم في تكذيبهم **39**

جزاء المتقين و عاقبة المكذبين 41-50

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) **40**

لما ذكر عقوبة المكذبين ذكر ثواب المحسنين فقال:- (إِنَّ الْمُتَّقِينَ)

للتكذيب المتصفين بالتصديق في أقوالهم و أفعالهم و أعمالهم و لا يكونون كذلك إلا بأدائهم الواجبات و تركهم المحرمات.

(فِي ظِلِّهِ) من كثرة الأشجار المتنوعة الزاهية البهية (وَعِثُونِ) جارية من السلسيل و الرحيق و غيرها **41**

(وَفَوَاحٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) من خيار الفواكه و طيبها **42**

و يقال لهم:- (كُلُوا وَاشْرَبُوا) من المآكل الشهية و الأشربة اللذيذة

(هَنِيئًا) من غير منغص و لا مكدر و لا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام و الشراب من كل آفة و نقص

و حتى يجزموا أنه غير منقطع و لا زائل

(بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فأعمالكم هي السبب الموصل لكم إلى هذا النعيم المقيم **43**

و هكذا كل من أحسن فى عبادة الله و أحسن إلى عباد الله و لهذا قال:-

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

و لو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم لكفى به حرمانا و خسرانا **45**

(كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا)

هذا تهديد و وعيد للمكذبين أنهم و إن أكلوا في الدنيا و شربوا و تمتعوا باللذات و غفلوا عن القربات (إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ) فإنهم مجرمون يستحقون ما يستحقه المجرمون فستنقطع عنهم اللذات و تبقى عليهم التبعات

كقوله { نَمَتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ } [لقمان: 24] 46

(وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) 47

و من إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات و قيل لهم:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكُمُوا لَا يَزْكُمُونَ) امتنعوا من ذلك فأى إجرام فوق هذا؟ و أي تكذيب يزيد على هذا ؟ 48

(وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) و من الويل عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق و يحرمون كل خير فإنهم إذا كذبوا

هذا القرآن الكريم الذي هو أعلى مراتب الصدق و اليقين على الإطلاق 49

(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ )

أبالباطل الذي هو كاسمه لا يقوم عليه شبهة فضلا عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفك مبين؟.

فليس بعد النور المبين إلا دياجى الظلمات و لا بعد الصدق الذى قامت الأدلة و البراهين على صدقه

إلا الكذب الصراح و الإفك المبين الذي لا يليق إلا بمن يناسبه.

فتبا لهم ما أعماهم! و ويحا لهم ما أخسرهم و أشقاهم!

نسأل الله العفو و العافية إنه جواد كريم.

\*كقوله { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } [الجاثية: 6] 50

.....